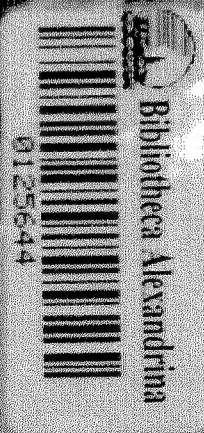


ثقافة وعلم إنسانية للرفيق

.. وانطلقت المدافع عند الظهر

اللواء
محمد عبد الحليم أبو غزالة



956.0

أبو
و



ثقافة وعلم إنسانية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جمال الدين زكي

المدير العام

مصطفى فوزي

رئيس قطاع النشر

سعاد قنديل

سنظل القاهرة .. واثقاً قلب العروبة والاسلام
الناض .. تذبذباً مكانها التاريخية والحضارية ..
في عالم الفكر والثقافة والنشر !!



الإدارة: ٩٢ شارع قصر العيني - بالقاهرة
ت ٣٥٤٤٤٤١ / ٣٥٥٧٧٢ / ٣٥٤٣٨٠ / ٣٥٥١٨١٨ / ٣٥٥١٨١٠
تلكس دولي: ٢٠٥٧٤ - ص ب ١٤ - رقم بريدي ١١٥١٦

لواء ا.ح محمد عبد الحليم ابو غزاله

وانطلقت المدافع عند الظهر
المدفعية المصرية من خلال حرب رمضان

Organization of the Alexandria Library
Prof. Barbara Alexanderson

الطبعة الثانية

يناير ١٩٧٥.

الفلاف : بريشة الفنان ناجي كامل

الإعداد الفني : إدارة الصحافة والنشر بمؤسسة دار الشعب

الناشر

مؤسسة دار الشعب

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

٩٤ شارع القصر العيني ت : ٢١٨١٠

وليس مجلس الإدارة

« أحمد إبراهيم حمروش »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد أدت الدفعة المصرية دورها في حرب العاشر من رمضان -
وكما أدت في جميع المعارك التي خاضتها في مضيق ومضيقها - على أكل
ما يكون الأداء ، وكما سوف نؤديه في مستقبل .

إن الملام التي حققت الدفعة خلال مراحل المعركة الخلفه منذ
عام ١٩٦٧ في مرحلة الصبر والردع والاستنزاف واقتحام القناة
ولاستيلاء على رؤوس الكبارى كانت ملام خطيرة وبرأت المعركة
بتمهيد لها التبراقى وفرضت امارتها كاملة على أرض القتال وكانت
مساندا ومددنا من تحقيق أهدافنا . وكان للدفة اليد الطولى
ولانزال في ربيع العدد في محم أعماقه .

لقد ترفع رجال الدفعة لتأدية واجبهم ، واستشهد منهم
من استشهد ولهم يقا تل على مدفعه لم يتركه قط حتى ذابوا
جودهم في ذلك تقاليدهم وأعمالهم .

إننا نحييهم رجالا أسودا بوطنهم وقوتهم وبحقوقهم في
هبة مرة كريمة .

السلامة

تقديم :

الفريق محمد سعيد الماحي

« ان المدفعية المصرية الرهيبة لعبت اخطر الادوار » .
بهذه الكلمات الواضحة الحاسمة وصف صانع القرار الخطير
لحرب أكتوبر الرئيس محمد أنور السادات ما قامت به المدفعية في
هذه الحرب .

لقد كانت المدفعية دائما وفي كل الحروب التي خاضتها القوات
المسلحة المصرية عبر التاريخ كانت صاحبة الدور الرئيسي فيها .
وذلك محصلة عمل شاق وجاد لم يمتد خلال ايام أو شهور ولكنه امتد
عبر سنين وقرون .

ولقد اتصف رجال المدفعية دائما بالشجاعة والاصالة والرجولة
وورثوها جيلا بعد جيل . ومن هؤلاء الرجال « أبو غزالة » كاتب
هذه النصول .

امتدت معرفتي به سنين طويلة . عرفته شابا متحمسا وطنيا
مخلصا . كان من منجزى ثورة ٢٣ يوليو ونهل من مناهل العلم والمعرفة
وخير فنون المدفعية بمدارسها المختلفة وبرز فيها . وتعرض في
مناصبها صفوها وكبرها فكان القائد الصغير الطموح وكان المعلم الفذ
صاحب المدرسة . وتوج ذلك كله بشجاعته واقدامه خلال معاركه
٦ أكتوبر وأثبت فيها اصالة الجندي المصري .

كان لشجاعته وشخصيته ثباته خلال فترة من احلك فترات القتال
حين كادت السيطرة على القوات أن تضيع — تمكن من فرض سيطرته
على هذه القوات فتماسكت وثبتت ودمرت العدو وردته على اعقابها .

حين يتحدث أبو غزالة عن المدفعية في ٦ أكتوبر فاما يتحدث عنها
حديث الرجل المجرب والقائد المتمرس الذي اشترك فيها خطوة خطوة
ومرحلة مرحلة في التخطيط والتدريب والتنفيذ . فاداءها بنفسه في
سرح القتال فهو بذلك يتحدث من موقع المشاركة الفعلية ومن موقع
القيادة والمسئولية .

وهو بذلك حديث الصادق الأمين .

الشمس المحرّب
المدفعية المصرية الحديثة
تاريخ مشرف
الفخر - المجد - الشرف

اعترافات

« انتهت خرافة تقول بان العرب ليسوا محاربين ... لقد طهست حرب ١٩٦٧ من ذاكرة العالم ان المحاربين العرب نشروا يوما ما دعوة الاسلام في نصف العالم المتحضر » .

النيوزويك

« برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال ... وقدرتهم على القيادة ... وقدرتهم على استخدام أحدث الأسلحة » .

صحيفة التايمز البريطانية

١٦ أكتوبر ١٩٧٣

« اعترف الجنرال هرتزوج المعلق العسكري الاسرائيلي للاذاعة العبرية بانه للمرة الاولى منذ عام ١٩٤٨ يخوض الجيش الاسرائيلي حربا دفاعية . وقال ان المعركة ليست سهلة وستكلفنا ضحايا باعداد كبيرة » .

٧ أكتوبر ١٩٧٣

« قال الجنرال شمويل جوين قائد الجبهة الجنوبية : « انه يبدو ان حجم القوات ضخمة وعملية الهجوم ضخمة والعتاد ضخمة والمدفعية المضادة للدبابات ضخمة » .

ي ب ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣

أكد احد القادة الاسرائيليين الذي كان مستولا عن خط بارليف لاجلة شيتون الالمانية الغربية ان المدفعية المصرية صبت على هذا الخط كمية غزيرة من النيران بصورة لم يشهدها من قبل على

الاطلاق . و اضاف يقول : « اننى اعتقد ان الجندى الاسرائيلى قد اذهلته المفاجأة ولم يفهم حقيقة ما حدث »

ى ب ٢٠ اكتوبر ١٩٧٢

تصريحات اهارون يليريف :

« انه حتى الآن وخلال ثلاثة ايام ونصف من القتال لم يتول الاجانب اى قيادة للقوات العربية ولكن تضاعف اثرهم بما لديهم من معدات حيث اصبحوا يشكلون عبئا ثقيلا على اسرائيل » .

اس تل ابيب ١٠/٩

قال روبرت ستيفنز يعرض آراء العسكريين الانجليز في صحيفة الاوبرفر البريطانية في ٢١/١٠/٧٣ :

« ان خيرا عسكريا بريطانيا بارزا هو البريجادير كينيت هانت نائب مدير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية :

يعتقد ان حرب الشرق الاوسط قد غيرت بالفعل افكارا عديدة عن التوازن بين الطائرات المقاتلة والدفاع الجوى ، وبين الدبابات ووسائل المدفعية المضادة لها . لقد واجهت السيطرة التى تمتع السلاح الجوى الاسرائيلى تحديا خطيرا من جانب الصواريخ العربية كما اصبح تفوق الدبابات الاسرائيلية في المعركة موضع شك كبير » .

بعث الضابط آموس برسالة الى زوجته جاء فيها :

« اذا كانت قد كتبت لى النجاة في تلك الليلة (ليلة ١٨ اكتوبر ١٩٧٣) فان ما حدث كان معجزة ، ذلك ان القذائف المصرية لم تكف عن تدمير تجمعنا وواقعنا طوال الليل ، اننى لا استطيع ان افهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم » .

(كتاب حرب كيبور)

الباب الأول من صفحات التاريخ

١ - المدفعية في العهود القديمة

منذ أكثر من ألفى عام كانت توجد المنجنيقات ، التى تعتبر أساس المدافع الحديثة ، ولكنها كانت ضخمة جدا ، الأمر الذى جعلها تستخدم أساسا فى الحصار وفى الدفاع عن الحصون . وكانت الحصون فى ذلك الوقت عبارة عن مدن تحاط بأسوار عالية جدرانها حجرية سميكة كما تحاط أيضا بخنادق عميقة .

وكان المدافعون المحاصرون يتحصنون داخل المدينة فى حين حاول القائمون بالحصار مهاجمة الحصن للاستيلاء عليه وكثيرا ما كان الهجوم يتم ليلا حتى يمكن استخدام الظلام للوصول الى جدران سور المدينة خفية وتسلق هذا السور ومفاجأة المحاصرين ، ولهذا الغرض كان القاتلون يحملون سلالا متقلبة طويلة وذلك لوضعها على الأسوار وتسلقها .

وإذا كان المحاصرون حذرين فإن الهجوم غالبا ما يفشل وذلك لتوافر ميزة هامة للمحاصرين ألا وهى أنهم كانوا قادرين على ضرب المهاجمين المكشوفين فى الوقت الذى توفرت لهم السواتر التى تحميهم (تحت ستر الأسوار والأبراج) . فائتاء تسلق المهاجمين للسلالم كان المدافعون يلقون الحجارة عليهم ويرموهم بالسهام والرماح وسكب القار المغلى والكبريت عليهم ومن يتمكن بالرقم من ذلك من الوصول الى أعلى الحائط يقابل بالسيف ويلقى خارج السور .

وأحيانا يقوم المهاجمون بتكرار الهجوم ، ولكن كثيرا ما تكون الخسائر من الكبر بحيث يتردد القائد فى معاودة الهجوم .

ونظرا لطبيعة اسلحة الهجوم فى ذلك الوقت فلقد جعلت الحوائط

الحجرية (الاسوار) من المدن حصونا لا يمكن أن تنشل ، ولما كانت المدن في حد ذاتها هي الهدف الرئيسى للمهاجم فكثيرا ما فشلت أكبر الجيوش وأشجعها في الاستيلاء على بلد حصينة . لذلك فكثيرا ما لجأ الطرف المهاجم الى القيام بحصار المدينة والقيام بعمل ثغرات في أسوار المدينة ثم الاندفاع داخل المدينة خلال هذه الثغرات .

ولما كانت السيوف والرماح لا يمكنها اختراق الحوائط ، تطلب الأمر وجود أسلحة خاصة للقيام بهذا العمل وهنا ظهرت المنجنىقات . وعليه فطوال أيام الحصار العديدة كان المهاجمون يقومون بسحب طوابير من العربات المحملة بكتل خشبية ومواد أخرى كثيرة خاصة بالبناء أو أجزاء من المنجنىقات التى يتطلب الأمر حين نقلها فكها الى أجزاء نظرا لضخامتها . وحين وصول هذه الأشياء الى مكان الحصار يبدأ عمل النجارين . وتمر أيام غير قليلة قبل أن تتم صناعة أو تجميع هذه المنجنىقات :

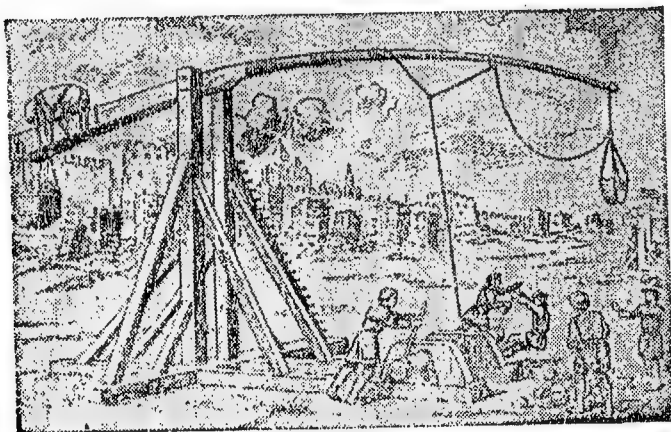
بعد ذلك عندما تكون المنجنىقات جاهزة يخصص للعمل على كل منها عدد من المقاتلين الذين يقومون بتجهيزها للإطلاق ، وبعد مجهود طويل ومضن تصبح الآلة (المنجانيق) جاهزة للعمل . وكانت لكل آلة تقذف كتلا خشبية أو كتلا حجرية ثقيلة تزن كل منها ٥٠ - ١٠٠ كيلو جرام . وعليه كانت الأحجار والكتل الخشبية تنطلق لتتساقط على المدينة المحاصرة فتتصدم بجدار السور وتفتت أجزاءه جزءا بعد جزء في حين ينطلق البعض الآخر مارا فوق السور لتتساقط داخل المدينة محدثا تدميرا في أسقف المنازل وقتل السكان .

ما هي تلك المنجنىقات ؟

وكيف كانت تبنى ؟

لقد كانت المنجنيقات التى استخدمت فى الأزمنة الغابرة تشبه المقلاع (النبله) الذى يستخدمه الأطفال فى قذف الحجارة اثناء لعبهم . ولكن كانت هذه القواذف (المقاليع) من كبر الحجم بحيث كان يلزم لنقل الكتل الخشبية واللازمة لبناء قاذف واحد عدد من العربات وبدلا من القطع الخشبية التى يصنع منها المقلاع للأطفال يستعاض عنها بحزم قوية من الحديد وأعمدة يتم غرسها فى الأرض بواسطة آلة رافعة ثم يقوم المقاتلون بسحب (بلف) حبل سميك طوله مثبت فى طوقين . وهذه الأطواق (الحلقات) تثبت أو تتركب فى جبال ملوية أو أوتاد .

وبواسطة الرافعة يجهز المنجانيق للضرب ويثبت فى وضع التعمير بواسطة خطاف ثم بعد ذلك يعمر بحج أو كتلة خشبية (شكل ١) ويشد المانع .



شكل (١) كيفية تجهيز برج مهاجمة الحصون للحرب

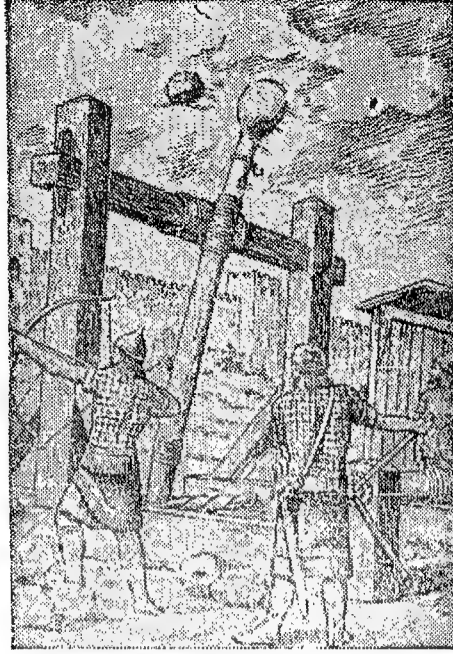
ان الصفيرة من الجبال التى يتم ليد بشدة تحاول ان تعود لوضعها الاول عند تركها فتدور بسرعة مديرة معها الاطواق . هذ تفك الجبال من الرافعة فيندفع الحجر او الكتلة الخشبية بقوة منطلقة لمسافة ٢٠٠ - ٣٠٠ متر .

هذه هى القواذف التى كانت تستخدم فى العهود الغابرة كما استخدمها الآشوريون ثم تبعهم فى استخدامها اليونانيون والرومانيون وكثير من الأمم القديمة .

ولقد كانت هنالك انواع وأشكال أخرى من القواذف (المنجنقات) أطلق عليها العرادة (القذافة الحربية القديمة ، المنجانيق) ويطلق عليها بلغة العراق النبلة الصيادة وكانت قاعدة هذا القاذف عبارة من اطار (برواز) مصنوع من عروق خشبية سميكة عليه قائمان سميكان وعارضة ، يذكراننا بالبوابة ، وتدخل النهاية السفلى للعرق الخشبي - الذى يعمل كرافعة لقذف الحجارة الثقيلة - فى ضفيرة الجبال الملوية ، أما الطرف العلوى للرافعة فلقد كان يأخذ شكل الملعقة .

وبواسطة آلة رافعة يسحب الطرف العلوى للرافعة لأسفل حتى يقترب من الأرض ثم يوضع الحجر (أى يصير تعمير القاذف) ثم تحرر الرافعة من الآلة الرافعة فتدور الضفيرة (الجبال الملوية) بسرعة الأمر الذى يسبب ادارة الرافعة ، فيرتفع طرفها (الذى على شكل الملعقة) بسرعة ويصطدم بقوة كبيرة فى العارضة - وبذلك تنطلق الدانة الحجرية من الملعقة (شكل ٢) . وكانت قوة الصدمة من الكبير بحيث يمكن للخجر ان يطير لمسافة عدة مئات من الأمتار .

وطوال مدة القصف هذه يقوم المهاجمون بنقل ورمم الخندق الذى يحيط بسور المدينة المحاصرة فى حين يقوم المدافعون بقذف

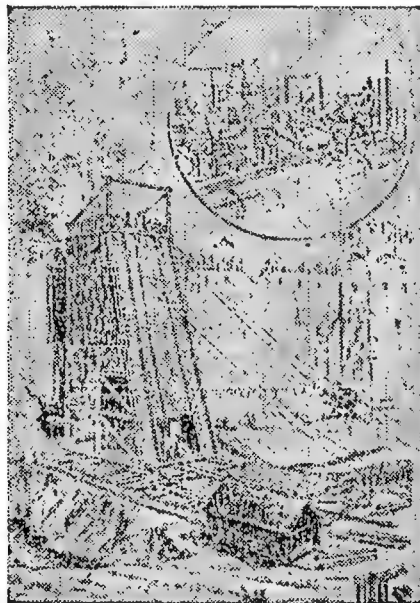


شكل (٢) الضرب بالمنجانيق (القذافة الحربية القديمة)

المهاجمين القائمين بهذا العمل بواسطة الحجارة كما يصبون عليهم القار المقلى من أعلى الأسوار ، وكان المهاجمون يتقنون بذلك بواسطة مظلات خشبية خاصة مركبة على عجل وكذا تحت مظلات خشبية طويلة لا تعوقهم أثناء العمل وبهذا فكثيرا ما نجح المهاجمون في عملهم عبر الخندق طوله مائة متر وعرضه عشرون مترا .

وبعد جهد طويل وخسائر كبيرة في القوة البشرية يقوم المقاتلون والعبيد بدفع الأبراج الضخمة على الممر . وكان ارتفاع هذه الأبراج

يصل الى حوالى خمسة او ثمانية ادوار (حوالى ٢٠ - ٢٥ متر) .
وبمجرد وصول البرج الى جانب جدران سور المدينة المحاصرة
يبدأ المقاتلون الموجودون فى الادوار السفلى من البرج فى دفع كتلة
كبيرة خشبية معلقة فى نقطتى ارتكاز (محاورين) وبقوة كبيرة لتضرب
الحائط بمقدمها الذى ينتهى بطرف معدنى .



شكل (٢) برج حصار وصل الى حائط
المدينة المحاصرة فى الدور السفلى من البرج
يضرب المقاتلون الحائط بأداة حربية تستخدم
لنطح السفن وذلك لعمل ثقب فى الحائط .
وفى الدائرة الموجودة فى الشكل (اعلى واليمين
تبين السطح العلوى للبرج وعليه بعض
المنجنيقات الصغيرة تعمل على طرد المدافعين
بعيدا عن السور) .

وهكذا تعمل الاداة الحربية التى تشبه تلك التى تستخدم لنطح السفن وتظل هذه الالة تضرب السور حتى يتم عمل ثقب (ممر) خلاله .

ويحاول المدافعون حرق هذه الأبراج وذلك بسكب قار مغلى على هذه الأبراج ، وكثيرا ما نجح المدافعون فى ذلك ، وعندئذ كان على المهاجمين أن يقوموا ببناء أبراج أخرى جديدة .

وعموما ففى الأزمان الفاسدة نجح المهاجمون فى حفظ أبراج الحصار من الحريق وذلك بتبطين البرج من ثلاث جهات برقائق من الصلب أو النحاس وبذلك أصبح أشغال هذه الأبراج أمر بالغ الصعوبة ، ولقد استخدم الصليبيون فى غزواتهم للشرق الأوسط العربى أبراجا من هذا القليل وبهذا تمكنوا لفترة ما من الحصول على انتصارات على الجانب العربى حتى تمكن العرب من اختراع النيران السائلة أو كما سميت فى بعض كتب التاريخ بالنيران الافريقية وبهذا تمكنوا من التغلب على هذه الأبراج التى كانت تمثل خطرا داهيا على المدن المدافعة .

وهذا ولقد جهز السطح العلوى للأبراج بالمنجانيقات والقواذف الصغيرة وهى نسخ من شقيقاتها الضخمة (شكل ٣) . وكان واجب هذه المدفعية الخفيفة ضرب قلب المدينة المحاصرة .

وكان مثل هذا الحصار يستغرق عدة أسابيع عادة بل وعدة أشهر ، فتصبح الحياة فى المدينة غير محتملة فالحجارة تتطاير هنا وهناك فتدمر المنازل ويقاسى السكان من الحرمان نتيجة للنقص فى المؤن وكثيرا ما بنى المهاجمون السدود لمنع المياه من الوصول الى المدينة المحاصرة .

وبمرور الوقت تبدأ جدران الأسوار فى التصدع تحت ضربات اداة الطرق ، وفى النهاية يقرر قائد الجيش القيام بهجوم حاسم .

وفي ذلك الوقت كان المهاجمون يستخدمون بعض عناصر المفاجأة المستحدثة وذلك بقذف براميل مملوءة بالمواد التي يحدث من اشتعالها دخان وحرائق (الدانات الحارقة للأزمة الغابرة) - فتنتشر الحرائق في المدينة مع انتاج دخان كثيف في أنحائها .

وبالقصفات التالية تروم المدينة بمئات من قطع الحجارة ثم يندفع المهاجمون مطلقين صيحات ويتسلقون الأسوار من طريق الأبراج وبواسطة السلالم . وإذا لم يتمكن المدافعون من المقاومة فان المهاجمين يحتلون المدينة .

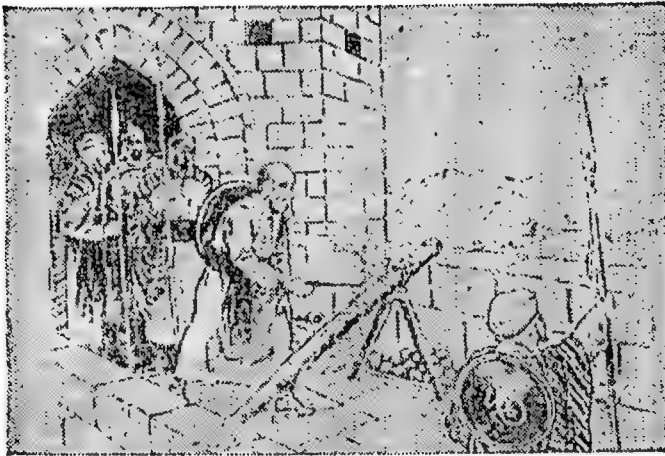
وأثناء المعركة الطاحنة داخل المدينة المقتحمة يبذل السكان كل قتال ورخيص للدفاع عن أرواحهم لمعرفةهم بالمصير المظلم الذي ينتظرهم الا وهو العبودية أو الموت .

متى ظهر المدفع لأول مرة ؟

ومرت مئات السنين قبل ان تتغير الطرق المتبعة في الحصان وفي الدفاع عن الحصون وكان للقرن الرابع عشر نصيب كبير في هذا المضمار ، ففي هذا القرن ظهر خلف أسوار المدينة سلاح جديد غير مزود بونش (آلة رافعة) ولا بروافع ثقيلة ولا تتطلب صناعته عمل مشرات النجارين . وكل ما يتكون منه هذا السلاح (القاذف) ماسورة وسببية (شكل ٤) . يوضع في الماسورة شيء ما ، ثم يقترب من هذه الماسورة شخص واحد فقط ، ولا يقوم هذا الشخص بسحب أو شد ما كنا تعودنا أن نرى في المنجانيق وإنما يقرب من الماسورة عصا من الحديد في طرفها لهب - ويرفع فجأة صوت كالرعد ويندفع من الماسورة لهب ودخان وتطلق منها كرة من الحديد .

« ان هذا العمل من أعمال السحرة » - هكذا كان يفكر الناس الذين كانوا يؤمنون بالشعوذة . ماذا يدفع الكرة طالما لا توجد في

السلحابة روافع ؟ لاشك انه الشيطان ! يا الله ، وكيف اذا يمكن -
مخاربة قوى الشيطان ؟



شكل (٤) المدفع العربى - احد الاسلحة النارية الاولى - جاهز
للضرب بواسطة عود من القنب المشتعل يقوم صانع الاسلحة بالضرب

اما الجنود الذين قابلوا هذا السلاح الجديد لأول مرة فقد
اقروا من الرعب طلبا للنجاة . ولقد حدثت بعض الحوادث التى
تظهر لنا الآن انها أشياء مضحكة . فعلى سبيل المثال أثناء حصار
المدينة الاسبانية التى كانت فى ذلك الوقت فى يد العرب حاول
القساوسة الكاثوليك طرد « القوى الغير طاهرة » (على حد تعبيرهم)
بالصلاة ، والتلويح بالصلبان وكذا برش المياه المقدسة ثم بعد

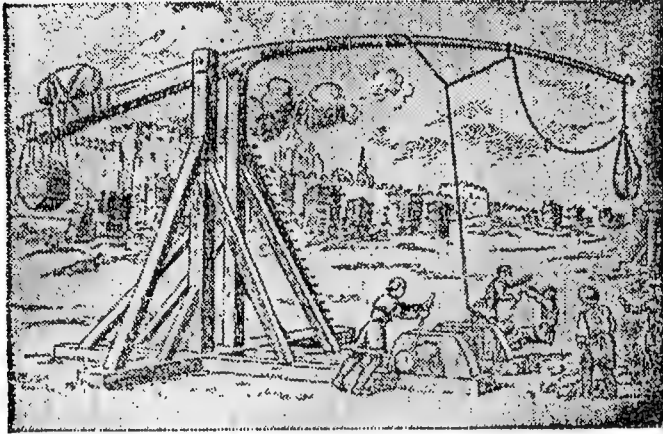
ذلك فقط قام الجنود الاسبان بمعاودة الهجوم » . ولكن « القوى
الغير ظاهرة لم تجزع من الصلاة ولم تطردها الصليبان . وعاود
السحرة الذهاب الى الاسلحة وكل منهم يحمل عودا مشتعلا ومرة
اخرى ينطلق من المواسير نار ودخان مع صوت كالرعد وتتساقط
على المهاجمين الكرات (القذائف) فتقتل من الجنود من تصبه ومن
لم يصب يفر طلبا للنجاة » . وقرر الاسبان عدم محاربة تلك القوة
المجهولة وانسحب الجنود الملكيون بعيدا عن المدينة ، ولم تتمكن
اية قوة أن تجعلهم يعاودون الهجوم مرة اخرى . بعد هذه الحادثة
انتشرت الأنباء المقلقة في انحاء أوروبا عن القوة المجهولة التي تقذف
القذائف محدثة رعدا وصوتا ودخانا ولهبا لا تعرف الرحمة
ولا تخاف الصليب . وأسرعت الكنائس الكاثوليكية في صب اللعنات
على السلاح الشيطاني الجديد .

ولكن كان هناك التجار الذين جابوا كثيرا من البلدان - فقاموا
بتوضيح الأمر لمواطنيهم وتعريفهم بأنه لا توجد هناك اية معجزة
أو سحر في الموضوع وان الصينيين قد اكتشفوا من قديم الزمان
انه لو تم خلط نترات البوتاسيوم بالفحم وتقرّب اى لهب من هذا
المخلوط فسيشتعل المخلوط بسرعة مولدا دخانا كثيرا . ولقد صنع
الصينيون منذ القدم هذا المخلوط وأشعلوه في الأعياد طلبا للفرح
واللهو ثم وضع المقاتلون العرب هذا المخلوط في أنبوب (ماسورة)
واستخدموه كمادة قاذفة تدفع المقذوفات الى مسافات ما وشيئا
فشيئا بدأت صناعة هذه الأسلحة بواسطة الأوروبيين .

السلاح خطير على مستخدميه :

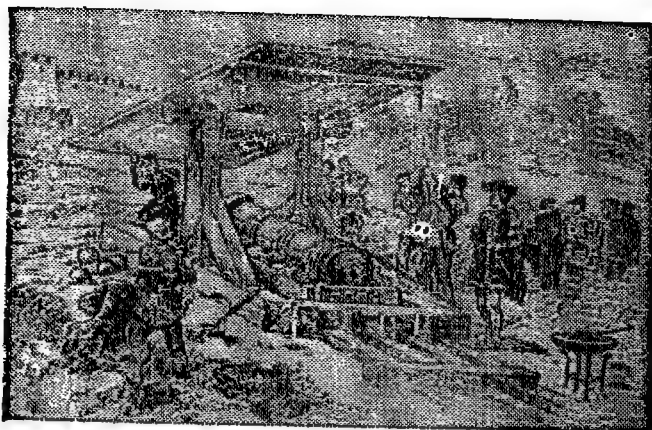
ولكن ظل هذا السلاح معيبا لمدة طويلة ولذلك فانه عند محاصرة
مدينة ما فالى جانب الأسلحة النارية كانت تجلب أيضا القواذف
القديمة المعروفة منذ قديم الزمان (المنجنقات) وكان هذا المشهد
مألوفاً في القرن الخامس عشر فغير بعيد عن حائط المدينة المحاصرة

يقف القاذف ذو المنظر الكئيب الذى يشبه القلاح (شكل ٥) والكبير
الشبه بالشادوف الذى يستخدم فى جلب المياه من الآبار .



شكل (٥) المدفع الكبير وهو يجهز للقذف دانتة على المدينة المحاصرة

ويوجد على الذراع القصير من الشادوف ثقل كبير . ويبدل
عدد من الأشخاص جهدا كبيرا فى رفع هذا الثقل الى اعلى وضع
له . وعلى الذراع الطويل يتم وضع الحجر فى الانشوطة (الخية)
ثم يحرر الشادوف فجأة فيدفع الثقل الذراع القصير لاسفل
ويرفع الذراع الطويل بسرعة لاعلى ويقذف الحجر فجأة لاعلى .
كان المنجنيق الذى على شكل شادوف كبير الحجم ، وتبيع المنطق
إذا ما قورن بالمنجنقات التى استخدمت فى العصور القديمة ، هذا
الى جانب انه كان اضعف منها ولذلك كان يقذف حجارة زنة عشرين
كيلوجرام لمسافة ١٥٠ متر فقط .



شكل (٦) تعمير المدفع الكبير

وليس بعيدا عن هذا المنجانيق الذي يشبه الشادوف كانت
توضع الأسلحة النارية - المدفع الكبير (شكل ٦) . وهو عبارة عن
ماسورة سميكة حديدية مصنوعة من شرائط من الحديد وتوضع
وتثبت مثل هذه الماسورة في كتلة خشبية بواسطة سلاسل من
الحديد .

والجزء الخلفي من الماسورة الذي يمكن فصله عنها به مسمار
توضع فيه عجينة لزجة من البارود . ثم يعمر المدفع بعد ذلك بكرة
من الحجر ويتركب الجزء الخلفي (القاعدة) بالماسورة ويشحم
الخلوص بين هذه القاعدة والماسورة بواسطة الطفل (لصلصال)
ثم تثبت القاعدة بالماسورة بواسطة خابور ثم يوضع خلف القاعدة

مصد (عرق خشب) حتى لا تقلد القاعدة بعيدا عند الضرب . وفي النهاية يوضع في فتحة القاعدة فتيل طويل يتم إشعاله بواسطة عصا من الصلب محمأة أو طرفها به لهب . ولقد كانت في هذه المدافع صيوب مختلفة فكان الحديد الذي تصنع منه جدران الماسورة غير قوى فحدث أن انفجرت عدة مدافع فاحترق وجرح ومات المحيطون بها . وخاف المجاريون الوقوف بجوار أى مدفع جديد وقيل أن هذه المدافع أكثر خطورة على أصحابها مما هى على العدو . فهل كان هذا حال القواذف القديمة ؟ نعم لم يكن يخرج منها دخان ولم يحدث عنها دوى مما يؤثر على العدو لو كان سرعان ما اعتاد الجميع على الدوى والدخان ولم يعد هنالك من يخافها . أما العمل على القواذف القديمة فقد أصبح سهلا ومأمونا .

« فليقم الصناع الذين يقومون بصناعة تلك المدافع الغير متينة باستخدامها والضرب بها » . هكذا كان يقوم المحاربون . وعليه فلقد كان لزاما على هؤلاء الصناع وصبيانهم أن يعملوا على هذه الآلات فيقومون بتوجيه هذه المدافع وكان هذا التوجيه يستغرق عدة ساعات مستخدمين في ذلك كتلا خشبية لرفع أو خفض الماسورة . ثم يقومون باختيار كمية البارود اللازمة (العبوة) أما بالقياس أو بالعين المجردة في مرة يزيدها ومرة ينقصونها وهكذا وفي النهاية يقوم الصناع بإشعال الفتيل ويختبئ في حفرة توجد الى جوار المدفع . وكان هذا العمل يعتبر بمثابة إشارة للمحاصرين كي يختبئوا خلف ثنيات الحوائط وبذلك لا تصيبهم القذيفة بخسائر كبيرة . وفي بعض الحالات قبل الضرب كان الصناع يصلون كي تصيب الطاقة الهدف ولكي لا تنفجر المدفع .

في عام ١٤٥٣ عندما هاجم الأتراك بيزنطة استخدموا المورتر الذى كان فخر المعسكر التركى وكان هذا المورتر يقذف مقذوفات حجرية زنة ١٠٠ كيلوجرام . وكانت هذه القذيفة تسقط على

الأرض بسرعة كبيرة فتفوص الى منتصفها في الأرض . ولكن الضرب بهذه القذيفة لم يكن ممكنا في كل الأوقات فلقد كانت الشوشرة والضوضاء التي تصاحب العمل على الموتر من الكثرة بحيث لم يمكن ضرب أكثر من ٧ طلقات في اليوم وفي النهاية يقومون بتفجيرها .

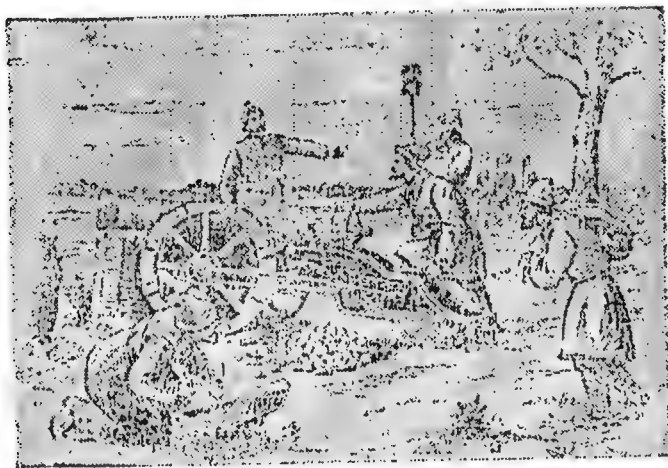
وبهذا ظل الأتراك في المؤخرة بالرغم من هذا التقدم بالنسبة الى المنجانيقات القديمة ولكن كان لديهم قوات كبيرة بواقع ٥٠ مقاتلا في مقابل كل بيزنطى وبذلك تحددت نتيجة هذا الهجوم فسقطت بيزنطة . ولم تكن أوروبا الغربية بالنسبة للأسلحة الجديدة بأوفر حظا من الأتراك ، اذ لم تتمكن الأسلحة النارية الغير متينة المتقلبة من منافسة الأسلحة القديمة .

فالحق يقال أن هذه القذائف المأمونة الغير خطيرة ذات ثقل الموازنة كانت تقذف مقذوفات حجرية بكفاءة لا تقل عن المدافع . ولقد ثارت مناقشات حادة بين القادة من أى الأسلحة أكفأ : القديمة ام الجديدة ، واتفق الغالبية منهم على أن القديمة أكفأ .

ولكن في سنة ١٤٩٤ أجريت تجربة أنهت هذه المناقشات ، فلقد استعد الملك الفرنسي الشاب شارل الثامن للهجوم على ايطاليا ليفرض سلطانه على نابولي . وكان فرض هذه السيطرة يتطلب قوة اقفاختار شارل لجيشه المكون من ثلاثين ألف مقاتل عددا كبيرا من المدافع .

وكانت هذه المدافع من المدافع الخفيفة التي تقذف كرات من الحجارة في حجم البرتقالة ومدافع « الاستخدام الرئيسى » التي تقوم بقذف حجارة في حجم رأس الانسان . وقام شارل الثامن بالهجوم على ايطاليا بهذه المدفعية فقابلته جنود الاقطاعيين وكان الفرسان يلبسون الدروع ويتمنطقون بالأسلحة المصنوعة من

الحديد . ولكن في اول معركة قذفت المدافع هؤلاء الفرسان بحجارة بحجم البرتقالة نجحت في اختراق دروعهم . وكان الفرسان يتقو هذه الحجارة بالاختفاء خلف الحوائط حتى يكونوا بعيدى المنال ، ولكن قذائف مدافع « الاستخدام الرئيسى » كانت تدمر هذه البوابات والحوائط . (شكل ٧) وسرعان ما سقطت فلورنسا ، وروما ونابولى في ايدى المعتدين .



شكل (٧) مدفع ثقيل (مدفع الاستخدام الرئيسى)
يطلق قذائف في هجوم رأس الانسان

وسرعان ما انتشر النبأ في انحاء أوروبا الغربية عن الوسيلة الجديدة التى تجلب النصر بسهولة . وانتهى النقاش السابق عن خطورة الأسلحة النارية على القوات المتحاربة اكثر مما هى خطورة على العدو . واصبح كل ملك يحاول الحصول على اكبر المدافع وخاصة الاقوى منها والاكفاء ولكن مرت عشرات السنين بعد ذلك الى ان أصبحت المدفعية فرع هام وحاسم من الأسلحة المقاتلة .

٢ - مصدر الطاقة القوى

اسلحة المدفعية

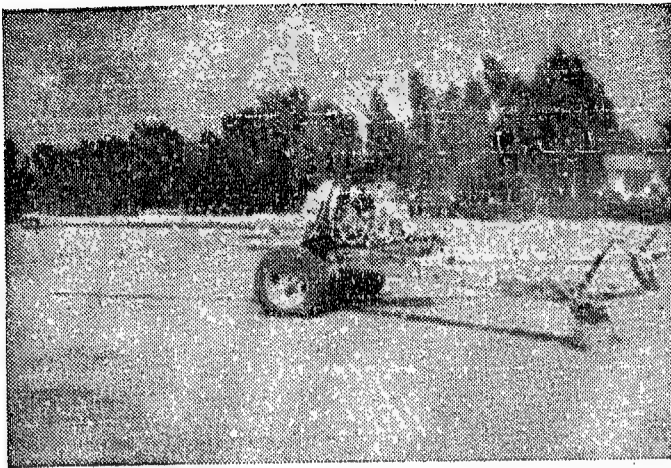
ماذا يسبب انطلاق دانة المدفعية ذات الوزن الثقيل من الماسورة بسرعة كبيرة فتصل إلى مسافة كبيرة من المدفع قد تصل إلى عشرات الكيلو مترات ؟

ما كنه هذه القوة التي تدفع الدانة من المدفع ؟

لقد كانت الدانات الحجرية في الأزمنة الفائرة تقلد من المنجانيقات (القواذف) باستخدام خاصية المرونة (اللدونة) للنجال الملوثة بشدة أو باستخدام الأوتار . أما لقدف السهام من الأقواس فلقد استغلت خاصية المرونة لمادة الخشب أو المعدن . وما من شك أن نظرية عمل المنجانيق (المقلاع) أو القوس واضحة ومعروفة . إذا ما هي نظرية بناء وعمل اسلحة المدفعية النارية ؟

المدفع الحديث عبارة عن آلة معقدة تتكون من أجزاء وتركيبات ميكانيكية كثيرة ومختلفة . وتبعاً للغرض الذي من أجله صنع المدفع نجد عدداً كبيراً من المدافع المختلفة الأشكال ولكن الأجزاء الرئيسية والمجموعات الميكانيكية في المدافع المختلفة لا تختلف كثيراً في الأساس من مدفع إلى آخر .

وستتعرف هنا على البناء العام لمدفع ما {



يتكون المدفع من ماسورة وترباس وعربة وهذه هي الاجزاء الرئيسية لكل مدفع

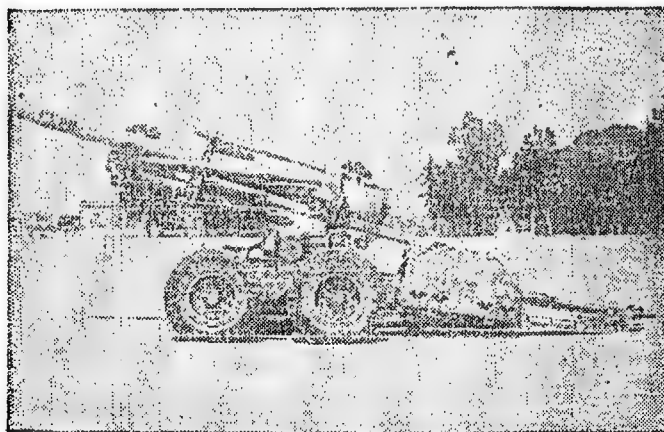
والغرض من الماسورة هو اعطاء حركة للمقدوف وتوجيهه في الاتجاه المطلوب كما انها في حالة المواسير المششخنة تقوم باعطاء المقدوف حركة دوران حول محوره مما يحقق ثبات المقدوف أثناء مسيره على خط المرور نتيجة لتحرك المقدوف ومقدمه دائما للأمام .

اما الترياس فيقوم بقفل قناة الماسورة ، ويمكن فتحه بسهولة لتعمير المدفع او لقذف الخرطوشة بعد الضرب . وعند التعمير يمكن قفل الترياس بسهولة ويصبح عندئذ كما لو كان قطعة واحدة مع الماسورة وبعد قفل الترياس يتم ضرب الطلقة بواسطة مجموعة جهات لضرب النار .

تستخدم العربة لحمل الماسورة ولاعطاها الوضع المناسب

للضرب كما انها في حالة مدافع الميدان تستخدم كوسيلة تحريك المدافع من مكان لآخر .

تتكون العربدة من أجزاء ومجموعات ميكانيكية كثيرة أهمها السرج ومجموعة العجل (شكل ٨) وعندما يراد الضرب من أى مدفع يتم فتح ساقى الغنداق وتثبيتهما فى وضع الفتح أما عندما يراد تحريك المدفع فيصير ضم هذين الساقين . ونلاحظ هنا أن فتح الغنداق فى حالة تجهيز المدفع للضرب يعطى المدفع قوة ثبات الى جانب توفير قوس اتجاه كبير . تنتهى ساقا الغنداق بسلاحين من طريقهما يتم تثبيت المدفع فى التربة وذلك لمنع من الحركة الطولية عند الضرب .

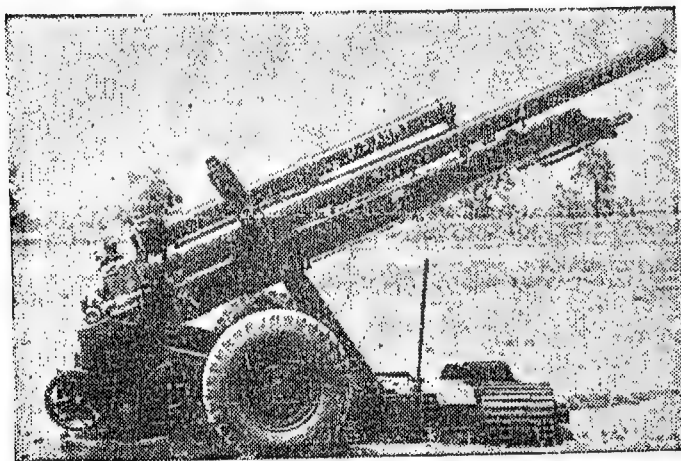


شكل (٨) قطعة مدفعية

وتتكون مجموعة العجل من العجل ومجموعة امتصاص الصدمات

التي تقوم بتوصيل العجل بقاعدة السرج أثناء الحركة (بعد ضم
ساقى الفنداق) أما أثناء الضرب فيجب فصل مجموعة امتصاص
الصدمات وهذا يتم أوتوماتيكيا عند فتح الفنداق .

يوجد على قاعدة السرج الأجزاء المتحركة (الدوارة) من المدفع
والتي تتكون من السرج ، مجموعة منجلتى الاتجاه والارتفاع ،
مجموعة أجهزة الموافقة ، أدوات التنشين ، المهد وأجهزة الرجوع
والإعادة .



شكل (٨) الأجزاء الرئيسية للمدفع ٧٦ موديل ١٩٤٢

السرج (شكل ٩) - هو الجزء الرئيسى المتحرك من المدفع وعليه
هن طريق الاكتاف (الترنيون) يتم تركيب المهد بالماسورة وأجهزة

الرجوع والاعادة او بتعمير آخر الاجزاء المتأرجحة (التى تتحرك فى المستوى الرأسى) ويتم ادارة السرج على قاعدته بواسطة منجلة الاتجاه الامر الذى يوفر قوس اتجاه كبير للمدفع . ويتم تحريك المهد بالماسورة فى المستوى الرأسى بواسطة منجلة الارتفاع الامر الذى يوفر اعطاء الماسورة زاوية الارتفاع اللازمة للحصول على المسافة المطلوبة وبهذه الطريقة يتم توجيه المدفع فى المستويين الأفقى والرأسى اى اعطاء المقذوف التوجيه المطلوب للوصول الى الهدف .

وذلك يتم بواسطة ادوات تنشين المدفع حيث يتم ربط الزوايا الأفقية والرأسية على ادوات التنشين التى تنقل بعد ذلك الى الماسورة بواسطة منجلتى الاتجاه وارتفاع اما مجموعة أجهزة الرجوع والاعادة فالغرض منها تقليل الطلقة على المدفع وتوفير الثبات وعدم تحرك المدفع للخلف اثناء الضرب . وتتكون هذه المجموعة من جهاز رجوع وجهاز للاعادة . يمتص جهاز الرجوع طاقة الرجوع الناتجة من الضرب اما جهاز الاعادة فيعيد الماسورة المرتدة الى وضعها الابتدائى ويحفظها فى هذا الوضع على جميع زوايا الارتفاع . ولتقليل تأثير طاقة الرجوع أيضا يوجد مخفف الصدمة .

وتقوم الدورة بحماية طاقم المدفع اى رجال المدفعية الذين يقومون بالعمل على المدفع من نيران الأسلحة الصغيرة ومن شظايا الدانات .

هذا هو البناء العام البسيط للمدفع الحديث المجزور ، ولكن التطور لم يقف عند ذلك بل سار حثيثا الى أن أصبحت المدافع أكثر تعقيدا ، وظهرت أنواع جديدة كثيرة سیرد الحديث عنها .

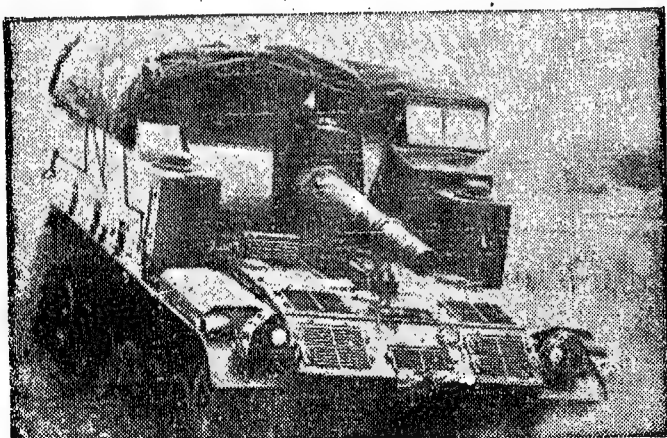
فى المدفع الحديث تستخدم الغازات المتولدة من البارود فى دفع المقذوفات ، ولطاقة هذه الغازات عدة خصائص مميزة .

عند العمل على المنجانيق (القواذف القديمة) كان الافراد يقومون بملئ الجبال بشدة حتى تصبح على شكل ضئيفة ثم عند

تركها تنفرد بسرعة ويدفع الحجارة بقوة للأمام . وكان هذا العمل يتطلب وقتا وجهدا كبيرين . اما عند الرمي بالاقواس فكان الامر يتطلب شد الوتر بقوة للخلف ثم تركه يعود لوضعه الطبيعي دافعا السهم للأمام .

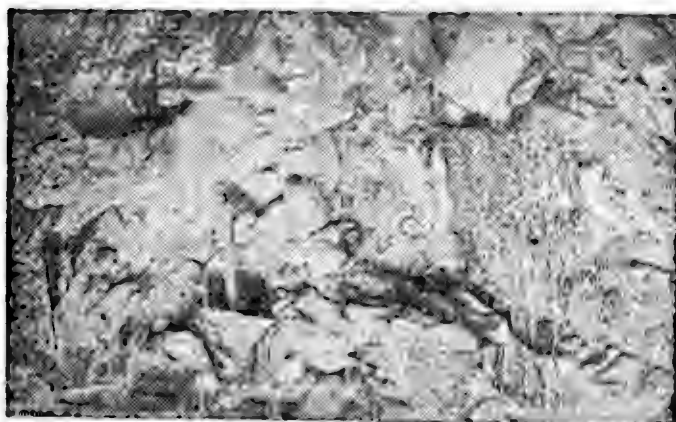
اما المدافع الحديثة فلا يتطلب الامر منا بذل كل هذا الجهد الضخم قبل الضرب اما العمل الذي يحدث داخل المدفع نفسه عند الضرب فتقوم بها نيابة عنا الطاقة الناتجة من البارود .

قبل الضرب يتم تعميم المقذوف داخل الماسورة وكذا العبوة ، وعند الضرب تشتعل العبوة وتتحول مادتها الى غازات يكون لها مرونة عظيمة لحظة تكوينها . ثم تبدأ هذه الغازات في الضغط بقوة كبيرة جدا في جميع الاتجاهات (شكل ١٠) ومن هذه الاتجاهات اتجاه قاعدة المقذوف .





دبابة اسرائيلية دمرها صاروخ ملساد للثييات



هل يمكن لأحد ان يعيش في هذا المكان بعد ان حولته النيران الى حطام

٢ - هذا المقذوف السابح في الهواء

المقذوف الكروي والدانة :

تطورت ذخيرة المدفعية من الحجارة الكروية الى مقذوف كروي متفجر (شكل ٩) يملأ من الداخل بالبارود الأسود ، ومزود بفتحة (شباك) يوضع بها فتيل (أنبوب) مملوء بمادة مشعلة بطيئة الاحتراق تشتعل عند اطلاق المدفع ويستمر اشعالها لمدة بضعة ثواني . وعندما ينتهى احتراق مادة الأنبوب ويوصل اللهب الى البارود الموجود داخل الكرة المتفجرة يحدث الانفجار . وبانفجار القذيفة تنفتت جدرانها الى شظايا تقتل كل من يتواجد في منطقة تأثيرها .

وكثيرا ما كان يحدث الا تنفجر هذه القذيفة بعد وصولها الى الهدف لأسباب كثيرة منها انطفاء اللهب او وصول رطوبة الى بعض اجزاء الأنبوب فلا يكتمل اشتعاله . ونعلق نحن رجال المدفعية على هذه الظاهرة اصطلاح « التكديب » .

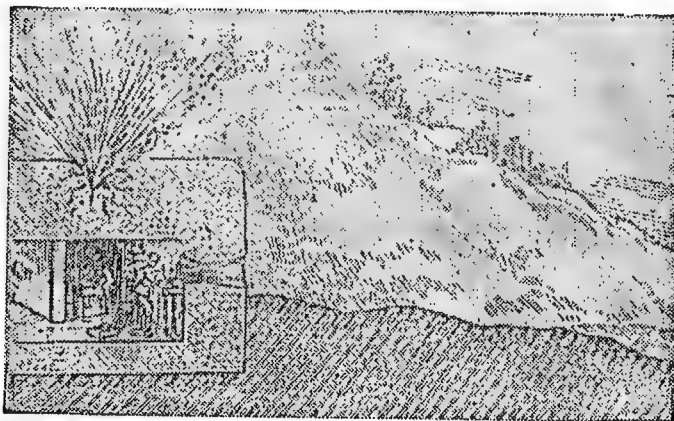
وكان قائد طاقم المدفع يتحكم في طول الأنبوب (او الفتيل) بخبرته فيقطع منه جزءا ما حتى يتفق زمن التأخير (او زمن احتراق مادة الأنبوب) مع الزمن الذي تستغرقه القذيفة لقطع المسافة من مكان المدفع الى الهدف (وهو ما نسميه زمن المرد للمقذوف) .

وبدأ رجال المدفعية يكتسبون الخبرة من خلال المعارك التي تخاضوها ، وبدأ البعض منهم يحاول تطوير هذه الذخيرة لتحسين أدائها الى ان ظهرت الدانة . وفي القديم كان رجل المدفعية يطلق على القذيفة المدفع (قبيلة المدفع) وتطورت التسمية الى ان أصبحت كلمة « دانة » هي التسمية المعترف بها . وفي القديم كانت دانة المدفعية زنة كجم أو أقل تسمى « دانة » ، أما تلك التي زاد وزنها عن

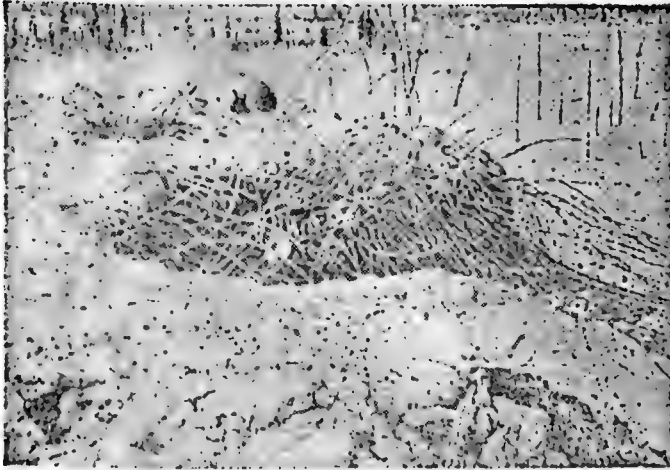
ذلك فسميت « قنبلة » . ولقد اثبتت دانة المدفعية ذات الشكل الانسيابي قدرة أعلى في الوصول الى مسافة أبعد بفرض ثبات الوزن وقوة المدفع .

تأثير دانة المدفعية :

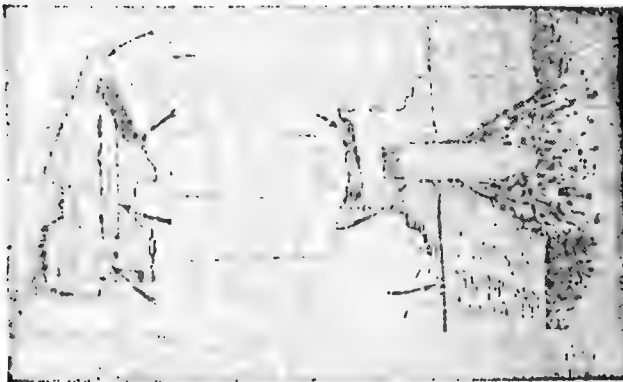
للمدفعية أنواع كثيرة من الدانات لتناسب طبيعة كل هدف فهناك الدانات الشديدة الانفجار التي تستخدم في القضاء على القوة البشرية للعد وتدمير المنشآت الدفاعية (الدشم - المواقع الدفاعية التحصينات المختلفة) (الأشكال من ٩ الى ١٤) . والدانات الخارقة للدروع التي تستخدم في تدمير الدبابات والعربات المدرعة (شكل ١٥ ، ١٦ ، ١٧) .



شكل (١٢) التأثير الناتج من إصابة دانة شديدة الانفجار واحدة لبشعة خرسانية

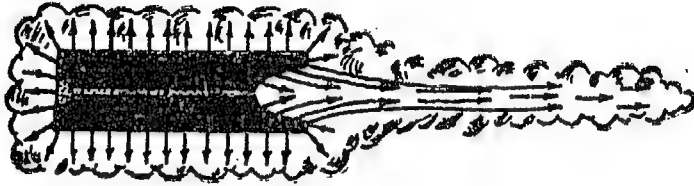


شكل (١٤) وهذا هو ما بقى من دشمة خرسانية
اصيبت بعدة اصابات مباشرة بالمدفعية

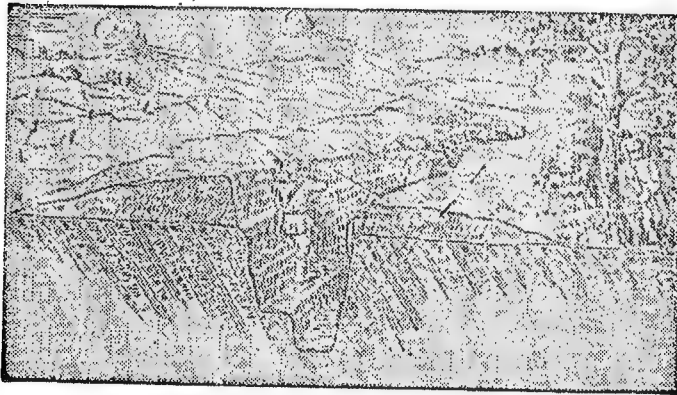


شكل (١٥) دانة خارقة للدروع سابو تخترق درع دبابة

دانة خشو جوفاء مخترق درع دبابة



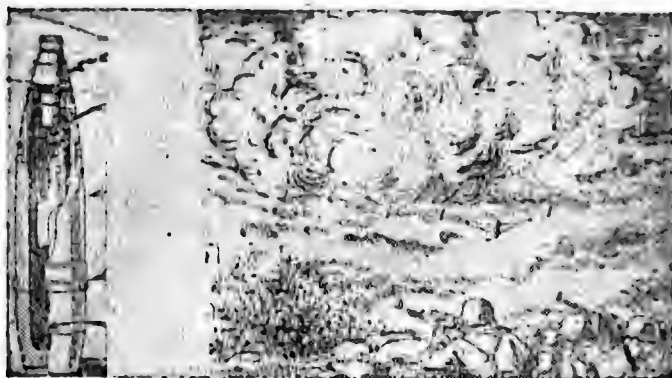
شكل (١٦) دانة خشو جوفاء تخترق درع الدبابة



شكل (١٧) انفجار جوى لدانة شديدة الانفجار وتأثيره على جنود في خنادق
أكما توجد للمدفعية دانات مضيئة (شكل ١٨) تستخدم في
إضاءة أرض المعركة ليلا ، بالإضافة الى دانات الدخان (شكل ١٩)
التي تقوم بتعمية العدو وإنشاء ستائر الدخان لأغراض كثيرة .



شكل (١٨) دالة مدلمية ملسنة



شكل (١٩) دالة مدلمية دخان

٤ - المدفع - الهاوتزر - الهاون - الصاروخ

ما هو المدفع ؟

كانت زيادة مرمى المدافع - ولا زالت - هدفا رئيسيا لمخترعى المدافع ولرجال المدفعية . ولزيادة المرمى يتطلب الامر السرعة التى تخرج بها الدانة من فوهة الماسورة .

ولك أن تتسائل وكيف يتم ذلك ؟ وما هى الطرق التى يمكنها تحقيق هذا الهدف ؟

ان الاجابة على هذا السؤال أصبحت سهلة بفضل العلوم الحديثة . فزيادة كمية المادة القاذفة (البارود) يزيد من ضغط الغازات على قاعدة المقذوف داخل الماسورة فيخرج بسرعة كبيرة ، وزيادة طول الماسورة يزيد من زمن تأثير هذه الغازات على الدانة وبالتالي يزيد من سرعتها . وكلما زادت السرعة التى تخرج بها الدانة (المقذوف) من فوهة الماسورة كلما زادت المسافة التى يقطعها . وقل انحناء خط المرور نتيجة قدرة الدانة السريعة على التغلب على مقاومة الهواء والجاذبية الأرضية .

والمدفع الذى تستخدم معه عبوة كبيرة وله ماسورة طويلة نسبيا يطلق عليه اسم : مدفع وعادة ما تكون السرعة الابتدائية لقذيفة المدفع أكبر من ٨٠٠ متر/ث .

ونادرا ما يقل طول ماسورة أى مدفع حديث عن ٤ ضعف هياره . أى طول الماسورة يساوى ٤ مضروبة فى الماسورة .

ونتيجة كبر سرعة المقذوف عند الرمي بالمدفع فعند الضرب على هدف على مسافة قصيرة لا يتطلب الامر رفع الماسورة لزوايا كبيرة

ولذلك عادة ما لا ترتفع ماسورة المدفع عن ٤٥ درجة .

وتحت هذه الظروف عادة ما يتم الرمي والماسورة تأخذ زوايا ارتفاع حتى ٢٠ درجة . وعلى هذه الزوايا ترتفع الدانة اثناء سيرها على خط المرور فوق سطح الأرض عدة مئات من الامتار ثم تعود الى الانخفاض الى ان تصطدم بالهدف .

ولكن ليس ما قلناه قانونا ليست له شواذ فالمدفع الالماني الذي كان يضرب باريس عام ١٩١٨ كانت أقصى زاوية تأخذها الماسورة ٥٢ درجة وكان يطلق داناته الى مسافة ١٢٠ كم وكانت الدانة ترتفع الى مسافة ٤٠ كم فوق سطح الأرض .

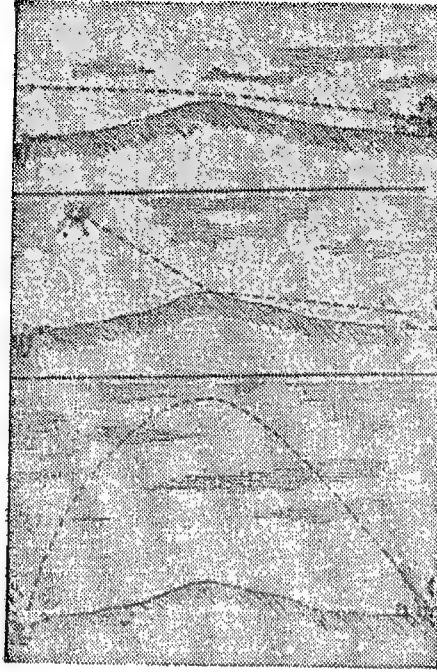
وعليه يمكن القول بأن الخواص المميزة للمدفع تتلخص فيما يلي :

— سرعة ابتدائية عالية للدانة .

— طول الرمي .

— خط مرور لطيف الانحناء .

ولكن مثل هذا المدفع قد لا يكون مناسباً للضرب على بعض الاهداف — فدانة المدفع التي تطير بسرعة كبيرة وتسير على خط مرور يكاد يكون مستقيماً قد لا تتمكن من اصابة الهدف انظري الشكل رقم (٢٠) هل يمكن للمدفع ان يصيب الهدف ؟



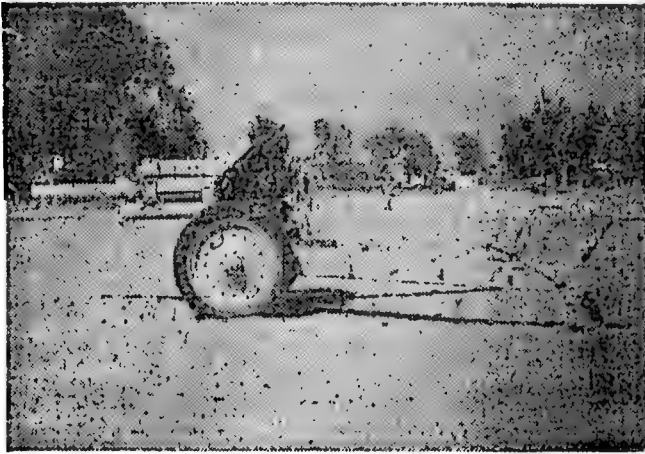
شكل (٢٠) الضرب على أهداف تقع خلف ثنية أرضية

من الشكل يمكنك أن ترى بوضوح أن الأمر يحتاج إلى أن
تسير الدانة على خط مرور منحني حتى يتفادى الثنية الأرضية
التي يقع خلفها الهدف . فهل يمكن للمدفع أن يقوم بذلك ؟ نعم
يمكن ذلك إذا رفعنا ماسورة المدافع على زاوية ارتفاع أكبر من ٤٥
درجة . حينئذ سترفع الدانة لأعلى ثم تسقط على الهدف كما هو
واضح بالشكل . وهنا نتساءل : وهل هذا الضرب مفيد ؟ وإذا
كانت الثنية الأرضية عبارة عن تبة مرتفعة اليس معنى ذلك أننا
يجب أن نرفع الماسورة على ارتفاع كبير جداً وبالتالي سيكون
الطريق الذي تقطعه الدانة طويلاً ؟ وقبل أن نستعرض في التساؤلات

هناك حقيقة مؤداها أن معظم المدفعية التي من نوع المدفع لا يمكن
أن تأخذ الماسورة زوايا ارتفاع أكبر من ٤٥ درجة .
إذا يجب البحث عن نوع آخر من قطع المدفعية .

للمرمي على هدف خلف ساتر يلزم الهاوتزر :

ما هي الوسيلة الأبسط والأكثر اقتصادا للحصول على خط
مرور أكثر انحناءاً ؟ لنجرب تقليل العبوة للمدفع . ماذا يحدث ؟
ستقل سرعة الدانة أي أنها ستطير ببطء وسقط على مسافة أقل



شكل (٢١) في حالة السرعة الابتدائية الأقل يزداد انحناء
خط المرور كلما زادت زاوية الارتداد

وإذا استخدمنا عبوة أقل وزدنا زاوية ارتفاع الماسورة - ودون
نخطى زاوية ال ٤٥ درجة كلما زاد انحناء خط المرور . وعليه يمكن
التحكم في شكل خط المرور والحصول على خط مرور له قدرة تفادي

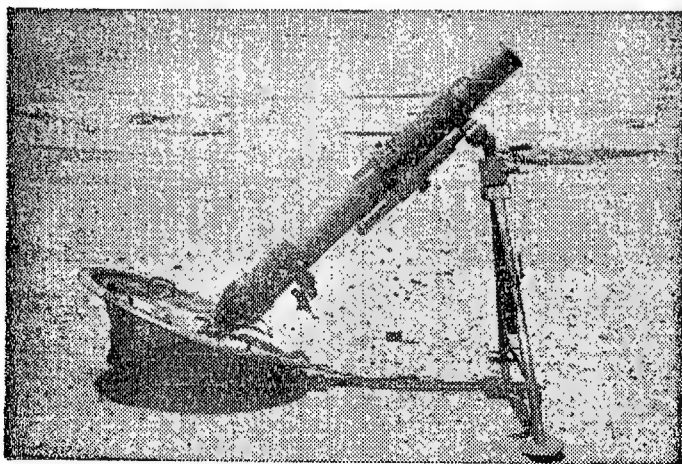
أى هيئة بين المدفع والهدف . وهذه هى أهم خصائص الهاوتزر الذى يتميز بما يلى :

- خط مرور أكثر انحناءا .
- سرعة ابتدائية أقل للدانة .
- دانة أثقل من دانة مدفع له نفس العيار .

الهاونات : شكل (٢١) :

هل يمكن خلق سلاح له نفس خاصية خط المرور العالي (المنحنى) ولكن أخف وزنا ، وأسهل فى الصناعة ؟

لقد حقق الهاون ذلك . فمأسورة الهاون ملساء ، جذرائها غير سميكة . ولذلك فهى أخف وزنا ، كما أن الهاون فى مجموعه أقل وزنا بكثير من أى قطعة مدفعية أخرى من نفس العيار . وتعتبر الهاونات مدفعية الجيوش الفقيرة نظرا لرخص تكاليف إنتاجها .



شكل (٢٢) هاون متوسط عيار ١٢٠ مم هل من الصعب إصابة الهدف

دقة الضرب

« النقطة الاشارية رقم ٣ يمين ١٠ فوق ١٠٠ رشاش في حفرة يفتح نيرانه على مشاتنا - اسكته » . كان هذا هو الامر الذي اصدره قائد احدى الفصائل المشاة لمدفع يرافق فصيلته اثناء الهجوم في السابع من اكتوبر عام ١٩٧٣ . ومرت بضع ثوان وتعرف قائد طاقم المدفع على الهدف وقدر مسافة الهدف بحوالى ٢ كم . فاصدر الاوامر اللازمة لسرعة فتح النيران . وانطلقت القذيفة الاولى . ورأى الطلقة الاولى تنفجر امام الهدف فاصدر تصحيحا لها وانفجرت الثانية خلف الهدف ثم صحح الضرب فأصاب الرشاش الذى تطايرت اجزائه وقتل طاقم الرشاش . وتمكنت مشاتنا من متابعة التقدم . لقد قام طاقم المدفع بتنفيذ المهمة بسرعة وبدقة . لقد استهلك الطاقم ثلاث طلقات لاصابة الرشاش وتدميره .

لماذا اعتبرنا أن المهمة نفذت بدقة ؟ ألم يكن فى استطاعة الطاقم أن يصيب الهدف من أول طلقة ؟ سنجيب على هذا التساؤل بعد قليل ، ودعنا نسأل أنفسنا ما معنى كلمة « دقيق » ؟ كثيرا ما نقول « ان ساعتى مضبوطة » فماذا تقصد ؟ هل تعنى انها على درجة مطلقة من الدقة وانها لا تخطئ ولو بجزء من الثانية ؟ اننا نعلم جيدا أن ذلك مستحيل ، فلكل ساعة خطأ مسموح به . وتتميز ساعة عن ساعة أخرى بأن الخطأ المسموح به أصغر . وعليه فكلمة « ساعتى مضبوطة » أو « دقيقة » تعنى أن الخطأ فى توقيتها صغير يمكن اهماله ولنفرض أنه ثانية واحدة .

ويمكن ضرب أمثلة عديدة تؤكد أن الدقة المطلقة أمر مستحيل . ولا يوجد شيء مطلق فى دقته وفى كل شيء سوى الله وقدرته جل شانه .

وما من شك أن أى مدفع مهما كانت دقة صناعته به سماح ما أو خطأ مسموح به : فى قطر الماسورة ، وفى طولها ، وفى استقامتها . . . الخ .

كما أن إيجاد مسافة الهدف يتضمن خطأ ما ، إذا لا يمكن إيجاد أى مسافة بدرجة دقة مطلقة . وعليه إذا كنا قد أدركنا أن مفهوم « الدقة » هو مفهوم نسبي وليس مطلقا ، فما هى الدقة المطلوبة من رجال المدفعية لتدمير رشاش العدو وبالحصول على إصابة مباشرة فيه ؟

من الممكن حساب ذلك - فإذا فرضنا أن مقياس المساحة التى يشغلها الرشاش 1×1 متر . فمن الممكن تدمير الرشاش إذا سقطت دانة المدفع فى أى مكان من هذه المساحة . وانفجار دانة المدفع تحدث حفرة نصف قطرها حوالى ٧٥ سم ، وعليه فإذا سقطت الدانة على مسافة لا تزيد عن ٧٥ سم من المساحة التى يشغلها الرشاش فسيحدث التأثير المطلوب . ومن هذا يمكن القول بأن أى خطأ مقداره بضع عشرات من السنتيمترات يعتبر غير ذى قيمة ، ولكن لا يجب أن نخطئ بمقدار واحد متر .

وبتعبير آخر : للحصول على التأثير المطلوب فى الرشاش يجب أن لا تبعد نقطة انفجار الدانة عن حدود مساحة الهدف أكثر من ١٥ سم .

ولكى لانطيل الحديث فى مسائل علمية بحثة هى من اختصاص ضابط المدفعية سنختصر الحديث ونصل الى القول بأنه نتيجة عوامل كثيرة يتعرض لها المقذوف اثناء سيره فى الجو ، وأخطاء الصناعة ، والأخطاء البشرية . . . الخ لا يمكن أن تحقق ظروف واحدة ثابتة للضرب ، كما أنه لا يوجد ولا يمكن أن يتواجد فى المستقبل مدفع يمكنه أن يقذف دانته فى نفس النقطة .

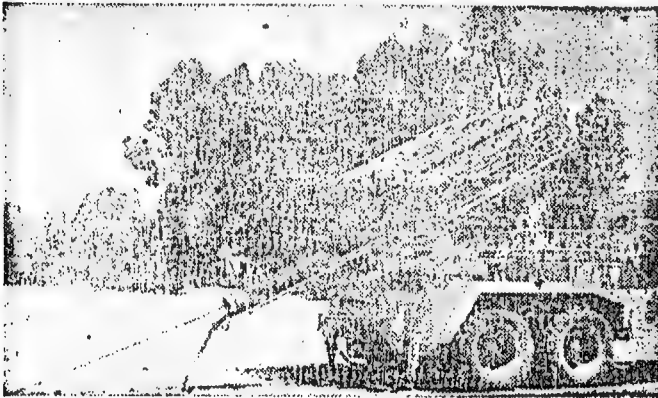
ومهما قمنا بمراعاة الدقة فى التحضير للضرب وفى تجهيز المدفع للضرب وتنشينه والتعويض عن الاختلافات التى تحدثها العوامل المؤثرة على الضرب لا يمكن أن تسقط عدة دانات تطلق من مدفع واحد تحت ظروف سائدة واحدة فى نقطة واحدة . فعند إطلاق

عدد من الطلقات ستسقط هذه الطلقات في منطقة محدودة تخضع لقانون رياضي معين .

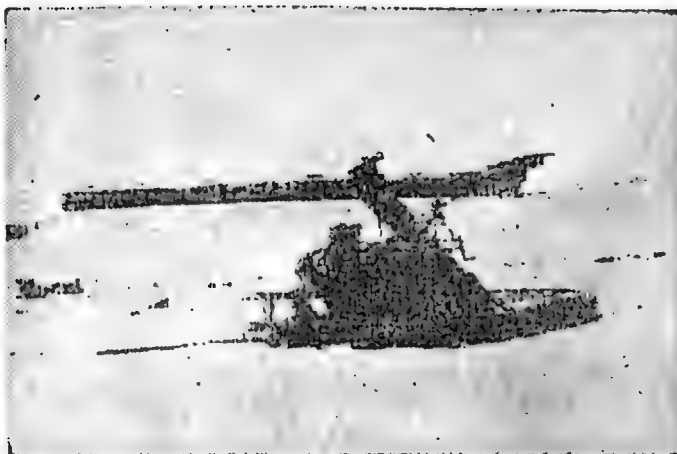
هذه المنطقة نسميها (علميا) منطقة الانتشار (شكل ٢٢) أو بيضاوي الانتشار .



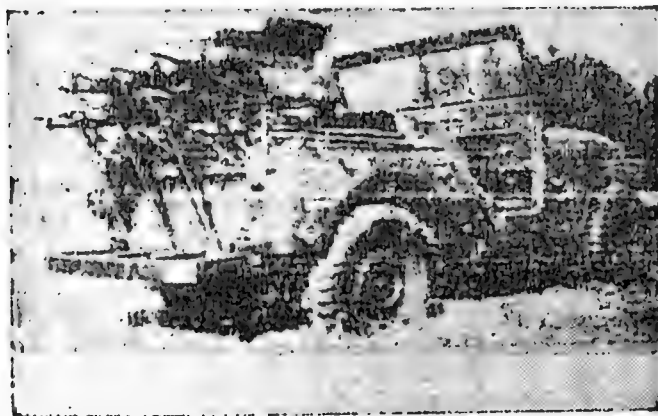
شكل (٢٣) انتشار دانات المدفعية



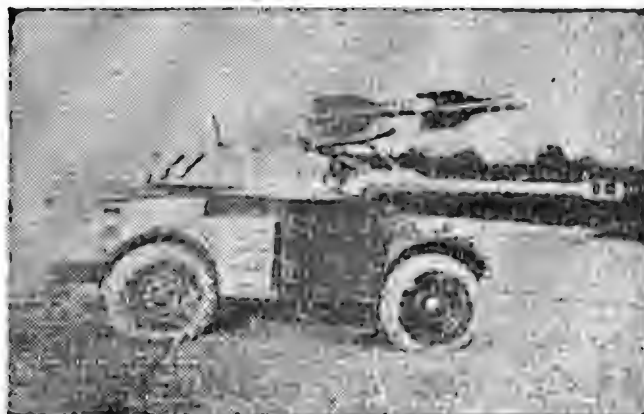
قطعة مدفعية صاروخية



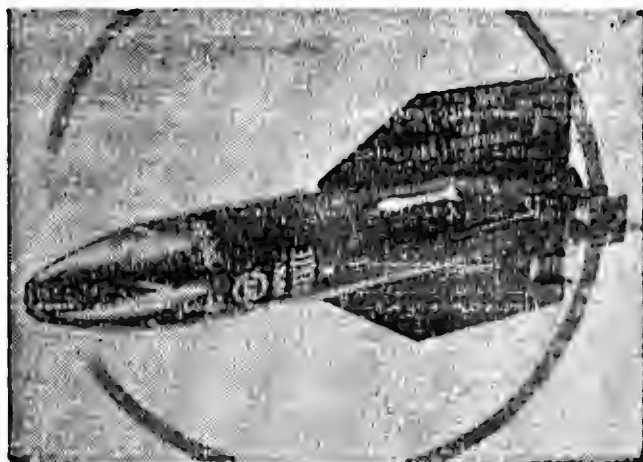
شكل (٢٤) كلما زادت مسافة الرمي كلما زادت مقاييس منطقة الانتشار



صواريخ موجهة مضادة للدبابات مركبة على مركبة جيب



صاروخ موجه ماساد للدبابات على عربة مدرعة



صاروخ فردی بحمله فرد موجه للدبابات

الباب الثاني

طريق طويل شاق

ما بعد النكسة

نكسة ١٩٦٧ سامحها الله

أحدثت نكسة عام ١٩٦٧ ، سامحها الله ، آثارا نفسية رهيبة في نفوسنا نحن رجال القوات المسلحة . فلقد هزمت هذه القوات لأنها وضعت في موقف كان لا بد فيه أن تفقد نفسها . ولقد تضافرت قوى كثيرة على تدمير نفسية قواتنا المسلحة حتى كدت أن اصدق أننا فقدنا أنفسنا ولن نجدها لزمنا طويلا . وأخذ العدو الاسرائيلي بزمنا المبادرة وبدأ يشن علينا حربا نفسية ضارية جند لها كل امكانياته العلمية والمادية . وأخذت كتب الاساطير والخرافات تملأ الأسواق وتصفم الأذان بيطولات كاذبة لجيش الدفاع الاسرائيلي الذي لا يقهر .

وبدا رجل الشارع الاسرائيلي يؤمن بأن القلب داء مافى أى حرب بين اسرائيل وبين العرب لا بد وأن تكون لصايح جيش الدفاع الاسرائيلي وساعد على شدة تأثير هذه الحرب النفسية ما أحس به الشعب المصري من الآلام مبرحة في قلبه إذ كان قد آمن بأن قواته المسلحة قادرة على القاء اسرائيل في البحر ، وذلك نتيجة خطأ أجهزة الاعلام المصرية التي أخذت تنفخ في أبواقها منادية بشعارات طنانة . « أقوى طيران في الشرق الأوسط » « أقوى جيش في الشرق الأوسط » .. الخ . فلما جاءت الصدمة وكانت شديدة بدأ رد الفعل ينعكس على تصرفات بعض المواطنين قبل صف وجنود وضباط القوات المسلحة المصرية . ولم يجرؤ أحد من القوات المسلحة أن يقف ليبريء ساحة الجيش من وذر النكسة . لأن الهزيمة كانت ضخمة وكانت الخسائر فادحة . وعليه لا مناص من ابتلاع السم والسكوت عليه حتى ولو أدى الى موت صاحبه .

ولكن اصالة الانسان المصرى وقوة تحمله جعلته يبتلع السم ولا يموت ، بل يقاوم فى صبر جبار عنيد لينتصر على اسباب الضعف والوهن . وبدانا نعمل ! وكان العمل شاقا مضمنا ! اعتقد ان من واجبى تجاه كل مصرى ان اعطيه صورة عن هذا الجهد دون مساس بما تقتضيه على واجباتى كضابط مصرى والامانة فى سرية المعلومات التى هى ملك الدولة ، وانى لم يحن الوقت بعد لاذاعتها .

عناصر الموقف الاسرائيلى بعد النكسة

كانت ولا زالت السمة البارزة الاولى للمخطط الصهيونى الدولى هى المرحلة اى تحقيق الهدف على مراحل متتالية مترابطة . وكل مرحلة من المراحل لها هدفها الاقصى وهدفها الأدنى . فالهدف الاقصى يحدد اقصى مكاسب ترمى اى تحقيقها اسرائيل فى المرحلة . اما الهدف الأدنى فهو الحد الأدنى للمكاسب التى تنشدها اسرائيل فى خطتها المرحلة ، والتى يجب ان تتمسك بها ما لم تتعرض لضغوط عسكرية أو سياسية تؤثر على الخطة وهو الحد الذى تبذل فى تحقيقه اسرائيل كل طاقتها سياسية كانت أو عسكرية .

وعلى ذلك تمسكت اسرائيل بالاراضى العربية التى استولت عليها خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحاولت ان تحقق احد هدفها لهذه المرحلة :

(١) الحد الاقصى : ويتلخص فى ضم كل او معظم هذه الاراضى على اساس انها ضمن حدود اسرائيل العظمى . ويتزعم هذا الاتجاه حزب جحل وبعض المجموعات السياسية المتطرفة . فلقد ادلى مناحم بيجين زعيم حزب جحل بتصريح فى ٢٨ مايو ١٩٦٨ يقول :

« ان الاراضى العربية المحتلة هى اراضى اسرائيلية حررتها اسراييل من الحكم الاجنبى غير الشرعى . . انها ارض الاجداد التى طرد منها الشعب اليهودى قبل ١٨٩٨ سنة » .

(ب) **الحد الأدنى :** أدت تطورات الموقف العربى الدولى الى دفع المعتدلين فى اسراييل للبحث عن حلول وسط وصياغة مقترحات تحقق لاسراييل الحد الأدنى الذى لا تقبل ما دونه . واعتبر الكثيرون ان ذلك تنازلات من اسراييل على العرب ان ينظروا اليها بعين الاعتبار . وكان العامل الرئيسى الذى تحكم فى مفهوم اسراييل عن الحد الأدنى هو الحدود الآمنة او نظرية الامن الاسرائيلية .

وظهرت صياغات جديدة ومصطلحات لولبية براقية . فلقد نادى موسى ديان بضرورة النظر الى مستقبل المناطق المحتلة ليس فقط من وجهة نظر الحق التاريخى بل ايضا من خلال الاهتمام بالمستقبل التاريخى واستبدالها بعبارة الارتباط التاريخى . والفرق بين الكلمتين أو التعبيرين هو فى الواقع نفس الفرق بين الحد الأقصى والحد الأدنى . وفسر المعلقون الارتباط التاريخى بأنه ليس من الضرورى ان تحتفظ اسراييل بكل الاراضى المحتلة بحكم الحق التاريخى وانما توجد أماكن أو مناطق يجب الاحتفاظ بها من أجل مستقبلها .

ويمكن ملاحظة الاسس الاستراتيجية التالية فى المخطط الاسرائيلى لتحقيق هذا الهدف .

(١) محاولة ارغام العرب على قبول الوجود الاسرائيلى والاعتراف به مستغلة فى ذلك نتائج حرب يونيو ٦٧ والنجاح العسكرى والسياسى الذى تحقق لها .

(ب) تأمين الوجود الاسرائيلى داخل حدود يتوفر فيها الامن بمفهومه السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى .

(ج) العمل تدريجيا على تحقيق الحلم وذلك بابتوسع واستمرار النمو .

(د) محاولة كسب السكان العرب الموجودين داخل اسرائيل وكسر حدة عداوتهم لها ، وذلك بخلق وجود عربى مشترك رغم ما فى ذلك من تناقض مع الايديولوجية العنصرية الصهيونية التى تتمسك باستمرار النقاء العسكرى ايهودى .

(هـ) ازالة مظاهر الصلات الشرعية القائمة بين المناطق المحتلة والدول العربية التابعة لها .

وبتنفيذ هذه الاستراتيجية العليا وضعت اسرائيل لنفسها استراتيجية عسكرية محددة تقوم على عناصر ثلاثة :

أولا : الحرب الوقائية الخاطفة التى تعتمد على رفض انتظار وقوع الضربة الاولى من جانب الدول العربية ، وان ضربة الاجباط هى التى تحقق لاسرائيل أمنها وسلامتها . وعليها ن توجه هذه الضربة فى الوقت المناسب قبل أن يكتمل استعداد أى دولة عربية لأعمال تعرضية شاملة .

ثانيا : اليد الطويلة التى تمثل أداة الردع الرئيسية ويتحقق ذلك بالحصول على التفوق الجوى بل والسيادة الجوية حتى تكون اجواء الدول العربية مفتوحة أمام القوات الجوية الاسرائيلية كيفما تشاء . وبذلك تهدد أعماق الدول العربية ، وتمثل خطرا داهما على اقتصادياتها .

ثالثا : الحرب الخاطفة وذلك بتدمير أى هجوم عربى فى مراحله الاولى وفى وقت قصير وذلك بتوجيه ضربات جوية وبرية مدرعة قوية بقوات على درجة عالية من خفة الحركة والكفاءة القتالية وتقل الأعمال القتالية الى أرض العدو بأسرع وقت ممكن .

الموقف العربى بعد النكسة

دروس مستفادة :

ما من شك أن هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ قد تركت آثارا سياسية وعسكرية ومعنوية بعيدة المدى . فلقد فقد العرب عنصر المبادرة الذى انتقل الى جانب اسرائيل بكل ابعاده ، وجعلها تتصرف فى المنطقة كيف تشاء ما من رادع لها ، تماما كالبطجى الذى يسيطر على حى من الاحياء بقوة وجبروت . وكان الموقف العسكرى المصرى والسورى فى حاله سيئة للغاية جعلته يقف الى حد كبير موقف المتفرج الذى لا يجد ما يمكنه أن يتدخل به أو حتى يحتج به .

ولكن على الرغم من كل ذلك فلقد خرجنا بدروس مستفادة وعيناها وعملنا على الاستفادة منها الخصها فيما يلى :

- (أ) جهلنا بعدونا واستهانتنا به أدبا الى أن نخسر الحرب وبسهولة .
- (ب) التقصير الشديد فى وضع الخطط المناسبة لمقابلة أى موقف سياسى عسكرى فى المنطقة ، وعدم وجود أى تعاون أو تنسيق بين الجبهات العربية المختلفة الأمر الذى أعطى لاسرائيل حرية الحركة والقضاء على القوات العسكرية لكل دولة على حدة .
- (ج) ترك المجال السياسى العالمى للنشاط الاسرائيلى ، فنجحت اسرائيل فى استقطاب غالبية الراى العالمى الى جانبها .
- (د) الجهل بإمكانات الامة العربية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، وبذلك حرمتنا من اسلحة مؤثرة فى المجانب السياسى والعسكرى
- (هـ) ان الخطر الصهيونى ليس موجها لدولة عربية بالذات وانما هو خطر يهدد كيان الامة العربية كلها .

استراتيجية مصرية جديدة :

درست مصر دروس النكسة ووعتها وبدأت تضع لنفسها

استراتيجية محددة تبلورت تماما بعد ثورة التصحيح وظهرت معالمها جلية في خطابات الرئيس السادات وكل اعماله ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية الجديدة فيما يلي :

(أ) هناك أرض عربية يحتلها العدو ولا بد من تحريرها ، وهو يرفض أن يتخلى عنها .

(ب) أن العرب يرفضون الاستسلام ويصرون على استرداد الحق المكتسب ، ويؤمنون بقدرتهم وامكانياتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

(ج) استقطاب التناقض الموجود في العالم العربي ، والعمل على خلق جبهة عربية موحدة تحاصر العدو الاسرائيلي وترهقه .

(د) هناك كثير من تقط الضعف الاساسية في موقف اسرائيل يمكن استغلالها .

(هـ) يمكن للعرب أن يجعلوا بقاء اسرائيل في الاراضي المحتلة عبئا ثقيلا غالي التكاليف تقصر عنه امكانيات اسرائيل الاقتصادية .

(و) استقطاب المجال السياسي العالمي لصالح العرب وعدم ترك أي ميدان سياسي لاسرائيل تعمل فيه بحرية .

(ز) البناء العسكري الى جانب البناء الاقتصادي ، فيد تبنى ويد تحمل السلاح .

(ح) وضع خطة من اربع مراحل : البناء ، والصمود ، والردع ، ثم التحرير .

البناء

مهمة شاقة مضنية ! وحدات المدفعية معظمها عاد من سيناء دون سلاحها ! الروح المعنوية للصف والجنود والضباط في

الحضيض ! المعلومات تفيد بأن الأسلحة في الطريق لإعادة البناء !
ما هو العمل ؟ وما هي الخطة ؟

ان الامر يحتاج الى جهد جبار يقوم به رجال آمنوا بالله وبالوطن ،
وبدأت القيادة العامة للقوات المسلحة بأجهزتها المختلفة تعمل وتضع
الخطط . ومن بين هذه الأجهزة ادارة سلاح المدفعية وكان على رأسها
رجل عظيم هو اللواء عبد التواب هديب .

قامت القوات المسلحة باختيار ضباط اكفاء اقوياء وعينتهم في
المناصب القيادية للوحدات والتشكيلات . وبدأ هؤلاء في أولى
خطوات البناء الا وهي التدريب .

وبدا التدريب شاقا عنيفا ، ليلا ونهارا تواكب اعمال نفسية
ومعنوية لتمسح من نفوس كل انسان بالقوات المسلحة ما علق بها
من آثار النكسة حتى ينتصر على نكسته هو داخل نفسه .

وبدا رجال المدفعية يعملون في صبر وعزم وقوة . وكان على
المدفعية أن تسبق الأسلحة الاخرى في توقيتات الاستعداد اذ أنها
كانت تمثل الدراع الطويلة التي يمكن استخدامها في مرحلة الصمود
التي يجب ان تبدأ بأسرع ما يمكن .

كان المتبع قبل عام ١٩٦٧ في خروج الوحدات الى مشروعات
تدريبية مع الرمي بالدخيرة الحية أن يعطى ائدار للوحدة ، وكان
قائد الوحدة يتمكن عادة من معرفة موضوع المشروع والكثير من
تفاصيله وكذا منطقة اجراء المشروع ، ولذلك كان يذهب ومعه
مجموعة استطلاع من ضباطه وصف وجنوده يدرسون أرض المشروع
وتفاصيل الهياكل والطرق بها . ولذلك كانت نتائج هذه المشروعات
تعطى صورة غير دقيقة عن المستوى الحقيقي للوحدة . كما كان
تقييم المشروع يتم بأسلوب غير سليم .

بدانا في تغيير الأسلوب فكننا نفاجيء الوحدة في وقت راحتها
لنرفع درجة استعدادها ونحركها الى أرض مجهولة بالنسبة لها

لتبدأ مشروعا تدريبيا بالرماية تبرز فيه جميع الدروس المحتملة في الحرب : من تحرك مع توقع مقابلة العدو الى هجوم على مواقع مجهزة الى اختراق لمواقع مجهزة على عجل . . الخ . وكان المشروع يستمر عدة ايام تتم فيها كل الاعمال المختلفة من امداد بالاحتياجات الى العيش لفترة تحت ظروف نقص الطعام والمياه . وظهرت ثغرات كثيرة ونقط ضعف عديدة أخذنا في علاجها بعلم ودراية . وبدأ الصدا الذي يعلو النفوس والعقول يزول بمعدلات مذهلة . فلقد كان الانسان المصرى يرغب في استرداد كرامته التي أهدرتها ظروف خارجة عن ارادته . وبدأ العقل المصرى يبتكر ، وأخذ الضباط والصف والجنود يتقدمون بأراء ومبتكرات تسهل أعمالهم وتوفر الوقت الثمين . وتوفيرا للدخيرة أنشأنا ميادين مصغرة فيها كل ما في ميدان المعركة ويتم التدريب فيها الى أن نتأكد من أن الضابط والجندي قد أتقنا العمل فينتقل بهما الى مرحلة أخرى وهى التدريب في ميادين حقيقية وبالذخيرة الحية . وكان هدفنا أن نضع طابورا متسلسلا لبعض الأعمال أى ميكنتها حتى توفر الوقت . وبدأت أرقام ومعدلات زمنية لتنفيذ المهام تنكسر تحت اقدام القادة والضباط المصريين .



وبدأت مرحلة جديدة من التدريب نسميها نحن العسكريين التدريب المشترك وتتلخص في خلق التزاوج بين الأسلحة المقاتلة المختلفة ، فتجرى مشروعات تشترك فيها عناصر مختلفة من الأسلحة مشاة ومدركات ومدفعية ، يتم فيها تنفيذ صورة كاملة لمعركة الأسلحة المشتركة . وفي مثل هذه المشروعات راعينا أن تعمل كل مجموعة مع بعضها البعض مشكلة بنفس الأسلوب المتوقع خلال العمليات .

ولما كان العدو الإسرائيلي يعتمد في نظريته العسكرية على القوات الجوية والمدركات لذا كان لزاما على رجال المدفعية أن يتعلموا كيف يدمرون الدبابات الإسرائيلية وكيف يعملون تحت ظروف القصف الجوي المركز ومن هنا بدأنا نهتم بأسلحة المدفعية المضادة للدبابات من مدافع عادية الى صواريخ موجهة مضادة للدبابات . ووصلنا بمستوى الأفراد الى أن يصيبوا الدبابة المتحركة بسرعة تصل الى ٣٠ كم ساعة من اول طلقة وعلى مسافات كبيرة . وكان اسلوبنا في رفع كفاءة المسددين وعمال التوجيه هو اسلوب الحوافز والتشجيع فكانت الترقية من نصيب الاكفاء ، والأجازات لا ينالها الا من ينجح في اختبارات خاصة دقيقة . وعملنا لكل رام كراسة صغيرة تسمى كراسة الرامي تسجل فيها نتائجه اليومية بحيث يمكن للقائد في كل لحظة معرفة مستوى الفرد في الرماية .

الصمود

بدأت هذه المرحلة بعد النكسة مباشرة واستمرت حتى اغسطس ١٩٦٨ . وتتلخص الاستراتيجية الحربية المصرية فيها فيما يلي :

١ - الالتزام بالهدوء وعدم جر العدو الى معارك لاتاحة الفرصة للبناء .

٢ - تجهيز الدفاع على جبهة القناة والوصول به الى الدرجة التى تمكنه من منع العدو من القيام بعمليات هجومية ناجحة ،
قد يقوم بها لفرض ارادته على مصر .

٣ - ليس معنى الالتزام بالهدوء هو عدم الرد على اعمال العدو الاستفزازية بل من الممكن الرد عليه ولكن بحذر وحكمة مع وتكبيده خسائر فى المعدات والأرواح حتى يعلم انه امام جبهة لا زالت قادرة على القتال رغم الضربة التى تلقتها .

ولعبت المدفعية المصرية الدور الرئيسى فى مرحلة الصمود لأنها كانت السلاح الوحيد الفعال فى ذلك الوقت . اذ كانت المدفعية ترد على اعمال العدو بقصفات نيرانية مؤثرة على قواته . ولقد ابدع رجال المدفعية وتفننوا فى تعاملهم مع قوات العدو خلال هذه الفترة بل لقد استغلت هذه الفترة للتدريب أثناء التراشقات . فكنت ترى قائدا خلال التراشق وقد تواجد فى مركز ملاحظة مدفعية قائم بالاشتباك وقد أمسك بساعة زمنية يقيم فيها ضابط مركز الملاحظة ويعلن له فى النهاية الدرجة التى تحصل عليها .

ولقد شهدت هذه المرحلة بعض الملاحم البطولية التى أظهرت المعدن الحقيقى للمقاتل المصرى ، فكانت معركة رأس العش ، واغراق المدمرة ايلات وغير ذلك من الأعمال التى يعرفها الجميع .

مشارك المدفعية

بعد أن تمكنت القوات المسلحة من اعادة بناء قواتها المسلحة جزئيا واستعادة قدرتها الدفاعية الى حد لا بأس به ، قررت القيادة العليا التحول الى استراتيجية الدفاع النشط أو الدفاع الوقائى والتى كان الهدف منها :

١ - عدم السماح لاسرائيل بتحويل خطوطها الحالية الى خطوط يقاء تقوم بتحسينها .

٢ - اقناع اسرائيل بأن الاحتفاظ بهذه الخطوط صعب مرهق تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية .

٣ - بقاء المشكلة الدولية ساخنة ليحس بها العالم ولا ينساها .

٤ - رفع معنويات القوات المسلحة المصرية والشعب المصري وبذلك تحبط المخطط الاسرائيلي عن الحرب النفسية ضدنا .

ولقد بنى تقدير الموقف المصرى لرد الفعل الاسرائيلى على ان اسرائيل امامها احدى حلين فى حالة اتباعنا استراتيجية الدفاع الوقائى :

— اما ان تلجأ الى شن حرب شاملة ضد مصر حتى تحتفظ لنفسها بالتفوق الذى احرزته وتوقف النمو المطرد للقوة العسكرية المصرية وتثدها فى مهدها قبل ان يستفحل داؤها . وفى الوقت نفسه تستكمل انتصاراتها الضائعة وتفرض ارادتها وبذلك تنتهى الى الابد من مشكلة — فى رايها — انها تهدد الكيان الاسرائيلى ووجوده كله .

— او ان تستمر فى سيطرتها على الاراضى التى تمكنت من الاستيلاء عليها فى عدوان ١٩٦٧ ، وتستمر فى محاولة تهويد اكبر جزء منها لفرض الامر الواقع بمرور الزمن ، رغم ما فى ذلك من تكاليف باهظة يتحملها الاقتصاد الاسرائيلى نتيجة احتفاسات اسرائيل بقوات عسكرية ضخمة معبأة لفترة طويلة . مع العمل على وقف التصاعد الذى قد يحدث على جبهة القناة بأسلوب العقاب او الردع وذلك بقيامها بأعمال جيمس بوندية عسكرية محدودة ومركزة تحدث آثارا مادية ونفسية مثل الاغارات على بعض المناطق النائية وغارات العمق وغير ذلك من الأعمال .

ولقد قررت الاستراتيجية المصرية المضى فى تنفيذ نظرية الدفاع الوقائى او النشاط انطلاقا من ان اسرائيل سوف تلجأ الى الحل

الثاني لان الحل الاول غير مستطاع بالنسبة لها لاسباب استراتيحية كثيرة منها ان التوسع يزيد العبء على اسرائيل لفرض سيطرتها على اراضى شاسعة وانه سيؤدى الى ذوبان قواتها المسلحة ويستنزف جهدا ويجعلها اكثر تعرضا لآعمال رد الفعل المحتملة ، كما ان قواتها المسلحة ستفقد ميزة استنادها الى مانع طبيعى قوى هو قناة السويس يضمن لها لفترة طويلة من الزمن عدم تعرضها لضربات مصرية مضادة واسعة النطاق . هذا بالإضافة الى أن الخلفية السياسية العالمية غير مهيأة لشن حرب شاملة جديدة على العرب بعد أن تحولت اسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧ من حمل وديع ضعيف الى دولة قادرة جيشها لا يقهر .

٨ سبتمبر ١٩٦٨ :

على الرغم من ان معارك المدفعية بدأت قبل هذا التاريخ (بدأت فعلا من ٦٨/١/٣) الا أن يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ يعتبر تحولا كبيرا فى اعمال المدفعية المصرية على الجبهة المصرية حتى أن القوات المسلحة اعتبرت هذا التاريخ هو « يوم المدفعية » يقام فيه احتفال كبير تكريما لها ولما قدمته من اعمال بطولية خلال العمليات .

تقرر فى يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ تنفيذ قصفة نيران مركزة قوية ضد جميع الأهداف المعادية على طول مواجهة قناة السويس وبعمق حتى ٢٠ كيلو متر بغرض :

(أ) تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى قوته البشرية وأسلحته ومعداته .

(ب) تدمير الخط الدفاعى الاول الذى بدأ يبنيه على شاطئ القناة .

(ج) فرض السيطرة النيرانية للمدفعية على جبهة القناة .

(د) رفع معنويات قواتنا واثبات أن جيش مصر قد هب من كبوته ليقول كلمته فى الصراع الدموى الدائر بين العرب واسرائيل .

ولقد اشتركت جميع وحدات المدفعية على طول المواجهة في هذا الاشتباك وامكنها أن تكبد العدو فيه خسائر جسيمة كانت :

اسكات	١٧	بطارية مدفعية
تدمير	٦	بطارية مدفعية
تدمير	١٩	دبابة
تدمير	٣	عربة نصف جنزير
تدمير	٢٧	دشمة مدفع ماكينة
تدمير	٢	مدفع مضاد للدبابات
تدمير	٨	موقع صواريخ أرض/أرض
تدمير	٢	مخزن ذخيرة
تدمير	٤	مخزن وقود ومناطق ادارية
تدمير	١٣	لورى

وكانت هذه الخسائر هي التي أمكن رصدها بالعين المجردة ، وما خفى كان اعظم ، ولكن قيادتنا حرصت على أن تكون بياناتها مؤكدة لبث الثقة في النفوس .

ولقد كان للتخطيط والتحضير الجيد والسرية في تنفيذ العملية اثر كبير في نجاح هذا الاشتباك وتنفيذ المهمة بكفاءة تامة حققت المفاجأة التامة للعدو . وتم في الوقت نفسه معاونة عبور الداوريات ، والتي نجحت اعمالها بفضل التعاون الجيد بين المدفعية وهـلـه الداوريات .

ولقد نجحت المدفعية المصرية في تنفيذ هذه المهمة وفرض تفوقها النيرانى على أرض المعركة للأسباب التالية :

(١) كان هذا الاشتباك هو أول اشتباك تم التخطيط له بدقة ونقطة على طول المواجهة .

(ب) تم تأكيد وتدقيق جميع الأهداف العادية وحصلت إياها بدرجة عالية من الدقة لتكون النيران مؤثرة للغاية .

(ج) تواجد جميع قادة المدفعية على مختلف المستويات في مراكز ملاحظة تشرف على أرض المعركة .

(د) استخدمت أساليب حديثة في إدارة النيران .

(هـ) كان لدقة نيران المدفعية في هذه القصفة الأثر الكبير في تدمير معظم أهداف العدو ، وتعتبر المهمة قد حققت الغرض منها وهي تدمير الصواريخ أرض/أرض - ٢١٦ مم كمهمة أساسية لأنها كانت تهدد مدن القناة .

قصصات نيرانية هامة :

بعد ٨ سبتمبر المجيد ، يوم المدفعية المصرية ، الذي فرضت فيه المدفعية المصرية نفسها على المعركة ، كان لزاماً عليها أن تحافظ على هذا التفوق وأن تؤكد أنها ذراع القوات المسلحة القوية الذي يمكنها به أن تؤكد الصمود وتردع العدو عند اللزوم .

قررت القيادة العامة للقوات المسلحة تخطيط قصصات نيرانية مركزة على قوات العدو الاسرائيلي . وقامت قيادات المدفعية على جميع المستويات بالتخطيط التفصيلي لتنفيذ هذا المخطط فقامت بها يلي :

(١) الاستطلاع التفصيلي لجميع الأهداف ودراساتها ودراسة طبيعة تحصيناتها .

(ب) اختيار أنسب الأعيرة التي تتفق مع درجة التحصين لكل هدف .

(ج) إجراء الأعمال المساحية الدقيقة لضمان سقوط جميع الطلقات على الهدف تطبيقاً لمبدأ الاقتصاد .

واخذت المدفعية المصرية تهدر يومياً ، ليلاً ونهاراً ، تصب الحمم على العدو وتغرقل تخزكاته وتحيل حياته على ضفاف القناة الى جحيم لا يطاق . . . واخذت خسائر العدو تتزايد يوماً بعد يوم .

وتميزت أعمال المدفعية خلال هذه الفترة حتى فبراير ١٩٦٩ بالنشاط النيرانى القوى ، والتفوق على مدفعية العدو ، ونجاح ضربات المدفعية فى احداث خسائر مادية ومعنوية جسيمة فى العدو الاسرائيلى . واصبحت اسرائيل تواجه موقفا غير طبيعى ، فخسائرها فى الأرواح على جبهة القناة تتزايد يوماً بعد يوم نتيجة القصف المدفعى لمواقعها شرق القناة . وبدأت الصورة تهتز فى نفوس جنودها . وعلى ضوء ذلك لم يكن أمامها الا أن تلجأ للأسلوب الاستراتيجى التقليدى وهو القيام بأعمال الردع العسكرى . وتحت الظروف السائدة وقتذاك حددت اسرائيل مدى هذا الأسلوب وطريقته ، ورات أن ينحصر داخل نطاق الرد على الأعمال العسكرية ، وعلى أن تكون الأهداف ذات نوعية خاصة ليكون لها تأثير نفسى وسياسى داخلى وخارجى وتحت سيطرة حتى لا يؤدى ذلك الى تدهور مفاجئ فى الموقف العسكرى . وكانت الاغارة على نجع حمادى فى اول نوفمبر ١٩٦٨ ، والاغارة ضد مطار بيروت فى ديسمبر ١٩٦٨ . وكانت الحسابات الاستراتيجية الاسرائيلية تهدف الى ابطال اعمال القصف النيرانى الذى قامت به المدفعية المصرية على جبهة القناة . ولكن نتائج هذه الأعمال كانت عكس ما توقعوا ، وفشل أسلوب « الردع المحدود » وكانت له آثار ضارة على الموقف السياسى العالمى لاسرائيل اذ استنكرت معظم دول العالم هذه الأعمال .

الاستنزاف

وبينما توقعات القيادة الاسرائيلية ان استراتيجية الردع المحددة ستؤتى ثمارها قررت القيادة المصرية التحول الى مرحلة الاستنزاف . وبدأت القوات المسلحة المصرية فى مارس ١٩٦٩

تنفيذ خطة تدمير خط التحصينات الذي اقامته اسرائيل على ضفاف القناة . وفي الثامن من مارس تمكنت المدفعية المصرية من تدمير الجزء الاكبر من هذا الخط . بعد قصف استمر لمدة خمس ساعات مستمرة . وتم التخطيط لمنع العدو من استعادة كفاءة هذه التجهيزات باستمرار القصف المدفعي عليها في حالة قيامه بمحاولة استعادة كفاءتها . وخصصت وحدات من المدفعية مهمتها مراقبة التحركات في مسرح العمليات بل ومنعها . ووصلت وحدات المدفعية في ذلك الى مستوى عال من الكفاءة النادرة . ولقد رابت بنفسى ضابط مدفعية في مركز الملاحظة تمكن من تدمير عربة نصف سجنزرة لحظة دخولها الى نقطة قوية رغم انها كانت تتحرك خلف ساتر ترابي لا يظهر منها الا هوائى الجهاز الاسلكى . فلقد تمكن هذا الضابط من دراسة اسلوب تحرك هذه العربة الذى تكرر لعدة ايام ، وتمكن ان يحدد سرعتها تماما وطريق تحركها ، واجرى على ذلك عدة تجارب صامتة ، وقام بحساب الزمن الذى تستغرقه دانة مدفعه الى مدخل النقطة القوية وبالتالي حدد المكان الذى يوصول العربة اليه يجب ان تنطلق الدانة لتقابل مع العربة عند مدخل النقطة القوية . وكان له ما اراد وسقطت الدانة اصابة مباشرة في العربة التى انفجرت وكان بها ثمانية ضباط اسرائيليين قتلوا جميعا ، وكوفى الضابط وسريته على ذلك مكافاة سخية من السيد وزير الحربية .

وتطورت حرب الاستنزاف فبدأت اعمال العبور للقوات المسلحة المصرية بمجموعات صغيرة ثم اغارات بأحجام اكبر وصلت الى الكتبية . ونجحت اعمال الاغارات وتحولت من نصب الكمائن الى الاغارة على النقط القوية . وعلى سبيل المثال لا الحصر في يوم ٦٩/١٠/٣ تمت الاغارة على النقطة القوية للدفرزوار فقامت المدفعية بستر عملية عبور المانع المائى والوصول الى مداخل النقطة القوية بأن صبت على النقطة كمية كبيرة من النيران . وتمكنت

قوة الاغارة بعد رفع نيران المدفعية من اقتحامها وتدمير من بداخلها وكانت خسائر العدو في هذه النقطة تدمير ٢ دبابة ، ٤ موقع صواريخ ، وقتل عدد كبير من الافراد .

واظهرت هذه الاغارة المستوى العالى الذى وصلت اليه قواتنا في نواحى تنظيم التعاون بين قائد مجموعة الاغارة وضابط المدفعية المرافق له ، والمستوى الرفيع لوحدة المدفعية في دقة النيران واضاءة ارض المعركة وعزل المنطقة ومنع احتياطات العدو القريبة من التدخل . كما تمكنت من اسكات بطاريات مدفعية العدو فور اكتشافها ومنعها من ضرب قوة الاغارة اثناء عملها داخل النقطة القوية واثناء انسحابها وعودتها سالمة الى الضفة الغربية .

ومثال آخر هو الاغارة على لسان بور توفيق يوم ١٠/٧/١٩٦٩ وما اظهرته المدفعية من قدرة على معاونة قوة الاغارة بكفاءة عالية . فلقد استمرت الحرائق بأهداف اللسان نتيجة ضرب المدفعية لعدة ساعات ، وتمكنت المدفعية من تدمير ٥ دبابات احداها عند مدخل اللسان حاولت نجدة الدبابات الأخرى الموجودة على اللسان ، وظهرت جميعها وهى مشتعلة ولمدة طويلة . وتمكنت قوة الاغارة من قتل حوالى ٤٠ فردا وتم أسر جندي . ولقد صدق السيد رئيس الجمهورية في نفس الليلة على منح جميع الافراد المشتركين نوط الشجاعة .

وهكذا كان طبيعيا أن تحاول اسرائيل الانتقام من عمليات الاستنزاف المصرية ففكرت في استراتيجية « الردع الجسيم » باستخدام القوات الجوية كأداة ردع عنيفة يمكن أن تحسم الموقف وتجبر مصر على إيقاف استراتيجية الاستنزاف الدامى . وبلورت القيادة الاسرائيلية خطتها لذلك فقررت تعطيل وارباك آلة الحرب المصرية وشل قدرتها على العمل الايجابى ، وتوجيه ضربات قوية الى نفسية ومعنويات الشعب المصرى لاضعاف وحدته والعمل على

انهياره من الداخل . وساعدها على اتخاذ هذا القرار وصول
شحنات من طائرات « سكاي هوك » الأمريكية واستيعاب قواتها
الجوية لها ، كما أن طائرات « الفانتوم » كانت على وشك الوصول
الى اسرائيل (اول دفعة في سبتمبر ١٩٦٩) بعد اتمام تدريب
الطيارين والفنيين على استخدامها . وكانت أهداف اسرائيل
العسكرية من هذا المخطط هي : -

(أ) تدمير نظام الدفاع الجوى المصرى ، والقوات الجوية المصرية
وبذلك تتحقق لها القدرة على تنفيذ استراتيجية الردع
الجسيم بعد أن تتحقق لها السيادة الجوية الكاملة .

(ب) اسكات النشاط العسكرى المصرى المؤثر فى منطقة القناة
واحباط حرب الاستنزاف التى بدأتها مصر .

(ج) عرقلة بناء القوات المسلحة المصرية وبذلك تموت فكرة امكانية
شن حرب هجومية لتحرير الارض .

(د) نقل الاحساس بوطة الحرب الى الاراضى المصرية والشعب
المصرى وبذلك لا يكون امام مصر الا التراجع عن مواصلة القتال
او تتصدع الجبهة الداخلية . ويتحقق ذلك بغارات العمق
او استراتيجية البعد الثالث كما كان يحلو للبعض ان يسموها
وضعت اسرائيل خططها لتنفيذ هذه الأهداف الاستراتيجية
وقسمتها الى ثلاث مراحل او ثلاثة ابعاد :

البعد الأول : ويتم فيه شن غارات جوية ضد القوات المصرية
المتركزة على طول جبهة القناة مع التركيز ضد عناصر الدفاع
الجوى ووحدات المدفعية .

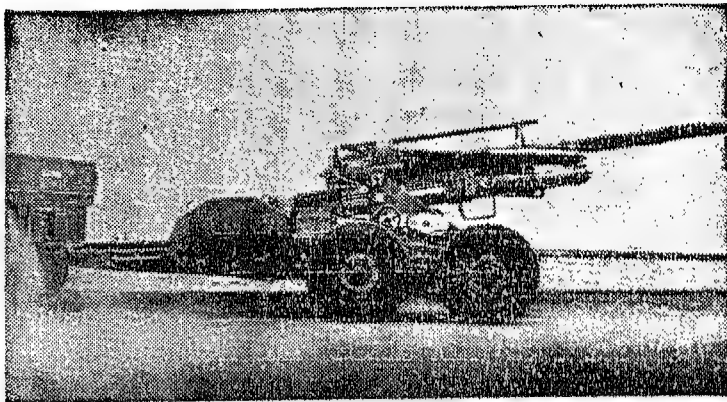
البعد الثانى : وتزيد فيه من نشاط القوات الجوية ليشمل
مواحل خليج السويس .

البعد الثالث : وفيه تنفذ غارات العمق مع استمرار الغارات على الجبهة أيضا .

ولكى لا أطيل الحديث في دراسة الخطة الاسرائيلية ومدى نجاحها أو فشلها ، وما هو رد فعل القيادة المصرية ازاء ذلك سيقتصر حديثي على تأثير هذا المخطط على أعمال المدفعية بالجبهة وكيف امكن لنا احباط عمل القوات الجوية الاسرائيلية ومنعها من تدمير المصدر الرئيسي للثيران بالقوات المسلحة المصرية وهو المدفعية .

واحب ان انوه هنا - قبل ان أن تعرض للمدفعية - بان القوات المصرية استمرت - رغم المخطط الاسرائيلي - تمارس اعمالها العسكرية المتنوعة . وازداد حجم اعمال الداوريات والكمائن وقصفات نيران المدفعية .

تعرضت المدفعية المصرية لتركيز شديد من الطيران الاسرائيلي بهدف بتر اليد الطويلة للقوات المسلحة المصرية ، وبالتالي تقليل الخسائر البشرية التي بدأت تزعج المجتمع الاسرائيلي وتهز اسرائيل من الداخل . ويكفي أن أقدم بعض الاحصائيات التي قامت بها قيادة مدفعية الجيش الثاني ضمن دراسة علمية ، قامت بها لتطوير طريقة وأسلوب عمل المدفعية المصرية ، ليتضح مدى ما تعرضت له المدفعية المصرية من قصف عنيف . وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف قصف المدفعية المصرية للمواقع الاسرائيلية لحظة واحدة .



مدفع ميدان مجرور

وهذه أمثلة قليلة من الكثير لتوضيح محاولة العدو الاسرائيلي اسكات المدفعية المصرية مستخدما طيرانه بعد ان فشلت مدفعيته في ذلك .

فهل تمكنت القوات الجوية الاسرائيلية من اسكات المدفعية المصرية ؟ ان الرد على هذا السؤال توضحه امثلة قليلة ايضا عن اعمال المدفعية خلال الفترة من اول يناير ١٩٧٠ وحتى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ في قطاع الجيش الثانى الميدانى :

الأهداف التي فهرت	خسائر العدو	الكمية التي تلقت	التاريخ
جيش الماشيق الوجود في مواجهة الجيش وجميع الأهداف والبطاريات في القطاع الشمالي من الجهة	لدى ٦٨ قراق ، وثكنة ٤٠ دشمة ، وأسلاك لدى ١٥ بطارية .	قصة نيران باسم انتقام	١٩٧٠/٤/٢٩
أسلاك ١٤ بطارية العدو ، لدى ركن العدو ، أسلاك ١٢ نقطة قوة العدو ، لدى ١٤ مرة ، واحد دبابه ، تهايل معظم الدشم .	أسلاك ٢ بطارية العدو ، لدى ٤ بلدوزر ، لدى عدد من الدشم ، قتل جميع قراق الدشم . الخسائر في متطورة ولكن إدارة المخابرات تحصلت على معلومات تفيد حدوث خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات .	قصة نيران هدير قصة نيران قصة نيران بالصواريخ	١٩٧٠/٦/١٠ ٧٠/٦/٢٥ ٧٠/٧/٢٩
مزل منطقة الكمين بالتينان أسلاك ٢ بطارية معدية لدى ٢ دبابه	أسلاك ٦ بطارية معدية ، ست قوة الاقارعة أثناء عبورها ومودها وبقي دبابات العدو من الوصول الي مكان الاقارعة لدى عدد من القواب ، خسائر بشرية جسيمة ، فتلست الاقارعة بفضل المفجعة ولقي انها الزفرة حاصمت اسرائيل قائد القوة تلتها .	معاينة كمين في القطاع الشمالي	٧٠/٥/٢٥
القطاع الشمالي قوة اقارعة العدو التي بسمية مشاة		معاينة اقارعة على نقطة قوية منح عازلة للعدو للمسور ومهاجمة الكتاب والتينة	٢٥ - ١٢ أبريل ١٩٧٠ ليلة ١١ - ١٢ ١٩٧٠/٦

جدول يوضح امثلة عدد الغارات الجوية التي تعرضت
لها بعض وحدات المدفعية خلال الفترة من مارس
١٩٧٠ حتى آخر يونيو ١٩٧٠.

التاريخ	الوحدة	مدة التصف الجوى	عدد الطائرات	أنواع القنابل
١٣ مايو	سرية	٨٥ ق	٢٤ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل ، ١٠٠٠ رطل
٧ مارس	سرية	٤٠ ق	١٨ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٢٥٠ رطل ، ٥٠٠ رطل
١٣ أبريل	سرية	١٠ ق	٤ طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل ، ١٠٠٠ رطل
١٣ أبريل	كتيبة	٤٥	٢٤ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل ، ١٠٠٠ رطل
١٥ أبريل	كتيبة	٤٥	٢٤ طلعة/طائرة	» » »
٢٠ أبريل	كتيبة	٦٠	١٨ طلعة/طائرة	» » »
١ مايو	كتيبة	١٥	٤ طائرة	» » »
	كتيبة	٥ ساعة	٧٠ طلعة/طائرة	» » »
	كتيبة	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
	كتيبة	٢٠ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
	كتيبة	١٢ دقيقة	١٠ طلعة/طائرة	قنابل زنة ٥٠٠ رطل ، ١٠٠٠ رطل
	»	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
	»	١٠ دقيقة	٤ طائرة	» » »
٦ مايو	»	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
٧ مايو	»	١٥ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
٨ مايو	»	٢٠ دقيقة	١٢ طلعة/طائرة	» » »
٩ مايو	»	١٥ ساعة	٤٠ طلعة/طائرة	» » »
١٨ مايو	»	٤٥ دقيقة	١٨ طلعة/طائرة	» » »
٥ يونيو	»	٤٥ دقيقة	٢٤ طلعة/طائرة	» » »
٧ يونيو	»	٤٥ دقيقة	٢٤ طلعة/طائرة	» » »
٩ يونيو	»	٤٥ دقيقة	٣٦ طلعة/طائرة	» » »
٥ أغسطس	»	١١٥ دقيقة	٤٠ طلعة/طائرة	» » »

وهناك عشرات من الأعمال الأخرى لا محل للحديث عنها هنا
أولا لان الهدف من هذا الكتاب الحديث عن المدفعية خلال عمليات
أكتوبر وثانيا لأنها ستأخذ حيزا كبيرا من الكتاب لا داعي له .
وصف لحرب الاستنزاف لضابط هندي كبير :

« يصف الكولونيل ب . ك نارايان حرب الاستنزاف في كتابه
« الحرب الاسرائيلية العربية الرابعة » يقول :

« ان المرحلة الثانية تغطي الفترة من مارس ١٩٦٩ حتى اغسطس
١٩٧٠ . ولقد عرفت هذه الفترة باسم « حرب الاستنزاف »
(war of attrition) . وكانت حرب الاستنزاف امتدادا لمبدأ
حرب العصابات التي اعطت القوة العسكرية الأضعف القدرة على
الصمود ضد قوات نظامية عدوانية محتلة ، مسببة خسائر في الرجال
والعتاد استمرت لفترة طويلة . وكان الهدف هو اشعار العدو بأنه
غير آمن وتؤثر في معنوياته وفي رغبته في البقاء ، وتجبره على استخدام
قوات أكبر لتأمين خطوط مواصلاته ومنشآته الى أن يقتنع بأن
بقاءه في الجبهة والتمسك بهذه الخطوط لا طائل من ورائه . لقد
كانت حركة مقاومة ابتدائية تهدف الى تمزيق العدو . لم تكن مصر
في عام ١٩٦٩ قادرة على مواجهة الجيش الاسرائيلي في حرب شاملة
ولكنها كانت قادرة على ان تستمر في القتال لفترة طويلة مع
الاحتفاظ بالصراع في حدود معينة حتى تشعر القوات الاسرائيلية
بضغط قصور القوة البشرية لأن عليها أن تحتفظ بقوات احتياطية
كبيرة معبأة الأمر الذي يثقل كاهل اقتصاد اسرائيل .

لقد بدأت حرب الاستنزاف بقصف نيرانى مستمر من المدفعية
المصرية ضد المواقع الاسرائيلية على طول مواجهة القناة . ولما لم يكن
في مقدور المدفعية الاسرائيلية أن تسكت المدفعية المصرية فلقد
اضطرت الى القيام بتوجيه ضربات جوية في يوليو ١٩٦٩ ضد مرابض
نيران المدفعية المصرية ولكن هذه الضربات لم تنجح في التقليل من تأثير

الدفعية المصرية . ولذلك قررت اسرائيل شن حرب استنزاف ضد مصر بالقيام بغارات في عمق الاراضي المصرية » .
 « لقد اثبتت حرب الاستنزاف للمصريين ان الماثرة والعزيمة هما الضمان الرئيسى للنجاح . كما اكتسبت القوات المصرية خبرة في مواجهة الغارات الجوية الاسرائيلية والتكتيكات البرية بعد ان استوعبت الاسلحة السوفيتية الحديثة . وبدلا من الحرب الخاطفة ذات النتائج السريعة البراقة التي اعتادها جيش اسرائيل اضطرت اسرائيل الى ان تقوم بحرب دفاعية ثابتة وتكتيكات دفاعية ضد الاغارات المصرية . ولقد حزن الاسرائيليون لهذا الانقلاب الجديد في الموقف العسكري والسياسي والذي فرض على اسرائيل اتباع الحلر وأن تصرف النظر عن غارات العمق » .
 ومن هذا الوصف يتضح مدى تأثير الاعمال القتالية العظيمة التي قامت بها المدفعية المصرية والتي ادت الى تغيير جذري في الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية واجبرت اسرائيل على ادارة حرب دفاعية لم تتعودها ، وبدأت تحس وطأة خسائر القوة البشرية الناجمة من الضربات النيرانية القوية التي وجهتها المدفعية المصرية لقواتها .

وقف اطلاق النار وبناء خط بارليف

وفي ٨ اغسطس ١٩٧٠ قبلت مصر وسوريا واسرائيل وقف اطلاق النيران (١) المؤقت . وكانت مصر قد تمكنت من تدعيم دفاعها الجوي في جبهة قناة السويس الامر الذي نتج عنه حدوث خسائر جسيمة في الطيران الاسرائيلي الامر الذي اجبر اسرائيل على قبول وقف اطلاق النار .

(١) ادعت وكالات الانباء في ٣٠ افسطس ١٩٧٠ تصريحا لابي ايان فل فيه « لولا وقف اطلاق النار لواجهت اسرائيل تصاعدا في الحرب مع مصر ، وبالتالي زيادة القتلى والجرحى واكل التفوق الجوي الاسرائيلي ... أن رفض وقف اطلاق النار يضع اسرائيل في موقف اخطر واشد صعوبة مما هو الآن .

واستفادت مصر من فترة وقف الاق النار في استكمال بناء شبكة الدفاع الجوى عن الجمهورية . وبدأ لكل رجل عسكرى أن هذا النظام المتكامل في الدفاع الجوى المصرى سيكون له تأثير كبير على أى نشاط عدوانى جوى اسرائيلى جديد . كما أن هذه الحماية ستطلق يد المدفعية المصرية في تدمير الخطوط الدفاعية الاسرائيلية ، وبالتالي تزداد الخسائر البشرية والمادية في القوات المعتدية .

وبدأت القيادة الاسرائيلية في بناء خط بارليف بوقاية قواتها من نيران المدفعية المصرية ومن قنابل الطائرات المصرية .

خط بارليف الحصين :

يصف كتاب جرب عيد الغفران (كيبور) خط بارليف من وجهة النظر الاسرائيلية واعتقد أنه من المفيد أن نطلع عليها ، فالكتاب يقول :

« لقد تكلف بناء خط بارليف ما يقرب من مليارين من الليرات الاسرائيلية وهو مبلغ ضخيم بالنسبة لاسرائيل . وكما فعلت فرنسا عام ١٩٣٩ (بالنسبة لخط ماجينو) فان اسرائيل كانت تفت في نومها وراء هذا الحصن الرائع الجميل .

لقد كانت الضرورة هي التى املت بناء هذا الخط . فحتى يونيو ١٩٦٧ كان متفقاً على أن الحرب اذا وقعت فان القتال سيدور في أرض العدو . ونتيجة للشكل الجغرافى لاسرائيل بتلك الحدود التى لا نهاية لها ، والتى لا معنى لها نظراً لأن المسافة في بعض المناطق بين الحدود والبحر لا تكاد تصل الى ١٨ كيلو متراً ، فانه لم يكن أمام اسرائيل أى تكتيك آخر . وترتباً على ذلك فان الجيش الاسرائيلى كان لابد له أن يكون جيشاً هجومياً خفيف الحركة قادراً على أن يباشر الهجوم على الفور . وكان الضباط الاسرائيليون الكبار على ثقة من أنه حتى في حالة وقوع هجوم مصرى فان الجيش الاسرائيلى سيكون قادراً على مجابهة المهاجمين واعادتهم من حيث جاءوا بعد

السياسية المحضة هي التي كانت لها الغلبة . وكانت اهم هذه النظرية ، غير انه عندما تعين اتخاذ قرار تكتيكي دفاعي فان الاعتبارات السياسية المحضة هي التي كانت لها الغلبة . وكانت اهم هذه الاعتبارات ما اوحى به رغبة اسرائيل في أن تحتفظ بقواتها على ضفة القنال لكي تخلق حالة واقعة ، ولكي تجعل المصريين يدركون ومعهم العالم بأكمله ، أن القناة لا يمكن فتحها للملاحة الا بتنفيذ الشروط التي أعربت عنها اسرائيل . وعلى ذلك فانه كان على الاسرائيليين أن يلتصقوا بضفة القناة . وفي البداية عمدت هذه القوات الى بناء خنادق لها على طول الممر المائي في مواقع مؤقتة على نحو او آخر . فلما شن المصريون حرب الاستنزاف وعرضوا الضفة الشرقية لنيران مستمرة من مدفعيتهم حسنت القوات الاسرائيلية من مواقعها وراحت تشيد الحصون لتكفل لهما الحماية .

وكان الامر عند ذلك مجرد حرب ثابتة بعيد الى الذاكرة من نواح كثيرة حرب الخنادق الشهيرة في الحرب العالمية الاولى .

ومن أجل دعم هذه الحرب المستمرة التي راح ضحيتها مئات من جنود الوحدات الرابضة في الخنادق على طول ضفة القناة فلقد أصبح ضروريا توفير حماية عاجلة لهذه القوات وكان أول من وضع خططا لخط من المواقع الحصينة هو الجنرال ابراهيم آدان . وكان يتوقع أن تجهز هذه المواقع بالاجهزة الالكترونية التي من شأنها اعطاء الانذار الى قوات المؤخرة وبذلك يقضى على كل محاولة مصرية لعبور القناة .

كان المشروع يقضى ببناء دشم قوية حول المحاور الاربعة التي تبدأ عند القناة ثم تتغلغل داخل سيناء في اتجاه الممرات الاستراتيجية في شبه جزيرة سيناء وقد بنيت المواقع واغلبيتها في مجموعات متقاربة بهدف أن يقوم كل منها بتغطية الأخرى في حالة تعرضها للهجوم . وكانت المواقع الرئيسية الاربعة هي التي اقيمت في كل من

بور توفيق (في مواجهة السويس) وفي الوسط (في مواجهة الاسماعيلية) وفي محور القنطرة ، وعلى بعد عشرة كيلو مترات من بور فؤاد .

ولم تكن شبكة هذه الحصون - وقد بلغت في مجموعها ٣٦ - تمثل سوى جزءا من مجموع الخط الذي كانت تدخل عليه التحسينات عاما بعد عام فيزداد قوة وتدعيما . واستمر البناء فيه شهورا طويلة ، ولقد استخدمت في البناء عشرات الجرارات والبولدوزرات ، وجاءت آلاف السيارات محملة بالأحجار من الشمال لكي تفرغ حمولتها من أجل انشاء المصطبة المضادة للقنابل . ولاختبار صلابة هذه الحماية قام الجيش الاسرائيلي عمدا بضربها بدانات المدافع السوفيتية التي غنمها في حرب الايام الستة .

وسرعان ما أصبحت هذه المواقع أماكن إقامة حقيقية بها كل وسائل الراحة ، من أجهزة اتصال محسنة ، وأجهزة لتكييف الهواء ، ومراوح ، ومياه جارية ، وخزائن لحفظ الطعام . وكان كل موقع منها يشبه من الخارج إحدى قلاع العصور الوسطى ، وقعا بدا كالديبابة العملاقة القادرة على أن تقابل بوسائلها الخاصة وأن تتحمل الحصار الطويل . ولقد زود شاغلوا هذه المواقع بقوة نيران كبيرة نسبيا ولا تستدعي إلا عددا صغيرا من الأفراد يطلقوها . وكان يتعين أن يحتل كل منها ما بين ٣٠ ، ٣٥ فردا لضمان توفير استقلال ذاتي لها في القتال وتحمل أي هجوم من قوات تفوقهم عددا . وتبعا للحسابات التي أجراها الخبراء فإن هذه المواقع كانت قادرة على أن تقاوم لمدة أسبوع لواء من المدرعات . وكانت المواقع مزودة (من جانبها) بمدافع الميدان وبالرشاشات الثقيلة والخفيفة ولكنها لم تزود عمليا بالأسلحة المضادة للدبابات .

ومع مضي الشهور تحولت المواقع الحصينة لكي تصبح أغلى الشئ في اسرائيل فلقد استنفدت كل منها عشرات الملايين من

الليرات الاسرائيلية واستخدم فيها آلاف من العمال والخبراء لبنائها . ولم يكن أى جيش عصى فى العالم ليستحق كل هذه الظروف المرهقة للحياة فى أى موقع متقدم فيه كل الأجهزة اللازمة .

كانت غرف الجنود فى الدشم مزودة بحماية كافية وكان هناك عدد كبير من مخازن الاطعمة المزودة بالمطابخ الكهربائية الحديثة التى تتيح للجنود الذين يعملون بها قضاء خدمتهم فى افضل الظروف .

ولقد انجز بناء خط بارليف على ثلاث مراحل فى المرحلة الاولى وحتى القصف الكبير عام ١٩٦٨ فان الضرب المستمر قد اثبت ان المواقع لا تصمد لقوة تلك النيران ، وان الابقاء على الجنود فى تلك الظروف كان يعادل تعريضهم للانتحار واستغرقت المرحلة الثانية كل الفترة التى دارت فيها حرب الاستنزاف حتى اغسطس ١٩٧٠ .

وفى اول وقف اطلاق النار الذى استمر ثلاثة شهور كان هنالك سباق حقيقى مع الزمن فلقد كانوا يخشون أن تعود المدافع المصرية لكى تدوى بعد تلك الشهور فأخذوا يعملون فى تطوير المواقع المدمرة التى أصبح عدد كبير منها خرائب وحطاما وفى خلال هذه الشهور الثلاثة من وقف اطلاق النار وحدها انفقت على الخط ثلاثون مليونا من الليرات .

هذا ما يقوله الاسرائيليون عن خط بارليف وهو يوضح مدى اعتمادهم على هذا الخط لوقاية قواتهم ومنع قواتنا من اقتحام القناة .

واعتمد الاسرائيليون فى بناء خط بارليف على ما يلى :

١ - نتائج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة بما فى ذلك حرب فيتنام .

٢ - دراسة كاملة لامكانيات دانات المدفعية وقنابل الطائرات المصرية .

٣ - اختيار اماكن النقاط الحصينة التى ستنشأ بحيث تسيطر على مناطق العبور المحتملة لقناة السويس وعلى طرق الاقتراب الى القناة . وان يتحقق بينها تعاون بالنيران .

٤ - مبدأ الدفاع المتحرك الذى يعتمد اساسا على الهجمات والضربات المضادة باحتياطات محلية وقريبة وتكتيكية وتعويية كل من القوات المدرعة ذات قوة الصدمة وخفة الحركة والقدرة على عبور جميع انواع الاراضى ، وكذا غطاء جوى قوى يؤمن حركة هذه الاحتياطات وضرباتها .

وعليه بنت اسرائيل خطا حصينا اطلقت عليه اسم « حاييم بارليف » الذى كان رئيسا لاركان القوات الاسرائيلية وهو الذى اقترح بناء هذا الخط .

ويتكون خط بارليف من ٢٢ موقعا حصينا تضم ٣١ نقطة حصينة تسع كل نقطة قوة من المشاة او القوات الخاصة تصل الى أكثر من فصيلة مسلحة تسليحا خاصا . ويوجد فى معظم هذه النقاط عدد من الدبابات والهاونات وقطع المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات وكل نقطة حصينة عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق بغوص فى باطن الأرض ، وتبلغ مساحتها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع .

ولقد زودت كل نقطة بعدد من الملاجئ والدشم جميعها قادرة على تحمل القصف الجوى او ضرب المدفعية الثقيلة بفضل الطريقة التى بنيت بها والتى تعتمد على شكاير الرمل والقضبان الحديدية والبلاطات الخرسانية والدبش وغير ذلك المواد (انظر شكل ١٤) .

وجهزت كل دشمة بعدة فتحات لاسلحة المدفعية والدبابات ،

وتتصل جميع الدشم ببعضها البعض بواسطة خنادق مواصلات عميقة مكمسة بألواح من الصاج أو الصلب وشكاير الرمل . كما جهزت كل نقطة بحيث يمكنها تحقيق الدفاع الدائرى ، كما قسمت الى اجزاء يمكن لكل منها أن يقاوم ويدافع دفاعا دائريا اذا ما سقط الجزء أو الاجزاء المجاورة له .

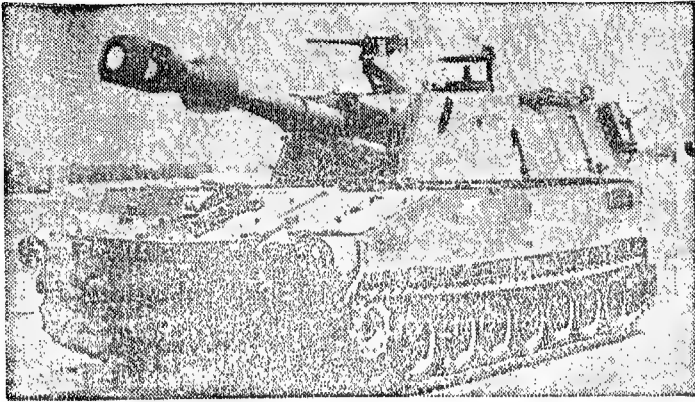
ويوجد بداخلها عدد من مرابض الدبابات والعربات المدرعة وبعض الرشاشات المضادة للطائرات والرشاشات المتوسطة والهاونات ومواقع الصواريخ أرض - أرض كما توجد بها منطقة شئون ادارية بها حمامات وأدبانات (دورات مياه) ونقط ملء وبعض الأكشاك وأنشئ بها سواتر عرضية وطولية بغرض تحديد انتشار الشظايا وتأثير موجة الضغط الناتجة من انفجار دانات المدفعية ، كما تستخدم عند الضرورة لتوفير عمق للنقطة في حالة استيلاء قواتنا على الساتر الأول . ولكل نقطة قوية من واحد الى ٢ مدخل تتحكم فيها اسلحة تضرب على خط ثابت ليلا كما زود العدو النقطة القوية من الداخل بأسلاك شائكة تتخللها ممرات ملتوية وذلك بغرض زيادة زمن تعرض قواتنا اذا ما نجحت في دخول النقطة وبالتالي تكون لديه الفرصة للقضاء عليها .

وكان ارتفاع الساتر الترابى المحيط الذى يمثل المحيط الخارجى للنقطة القوية من العلو بحيث يحقق لها الحركة المستمرة داخل النقطة ، وميدان ضرب نار جيد حولها ، وسيطرة بالنيران على مياه القناة في مواجهة النقطة وعلى أجنابها . وجهز هذا الساتر بشبكة من الخنادق وحفر الاسلحة لتحقيق الدفاع الدائرى .

ولزيادة مناعة النقط الحصينة أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الاسلاك الشائكة وحقول الألغام المرتفعة الكثافة والعميقة حتى يحدد الاتجاهات التى يتحتم على القوات المصرية منها اقتحام النقط وبذلك يسهل تدمير قوة الاقتحام . وقام بتوصيل نقطه القوية

بعضها البعض بواسطة مدقات قام برصفها حتى يخفى حصر كازا
لأن المدقات الترابية ينتج عنه غبار عند التحرك عليها .

كما بنى العدو الاسرائيلي موقعان حصينان لبطارتين مدفعية
أحدهما شرق بور فؤاد ليضرب منه مدينتى بور فؤاد وبور سعيد «
والآخر فى عيون موسى ليضرب منه مدينة السويس والزيتية » .



مدفع ذاتى الحركة



صاروخ موجه مضاد للدبابات على عربة خفيفة



دبابة اسرائيلية دمرتها نيران المدفعية



صواريخ موجهة مضادة للدبابات على حربة مدرعة



آثار حرب المدفعية على نقطة قوية

الوصف العام للملجأ الحصين (الدشمة)

يتكون الملجأ او الدشمة الحصينة من :

(أ) ملجأ حديد مكسى بالواح صاج معرج حوله أكتاف من شكائير الرمل والحجارة بارتفاع ٢٢٥ متر وعرض حتى ٢ متر يستند عليها من أعلى طبقة من قضبان السكك الحديدية (٤ صفوف فوق بعضها البعض) ويملا الفراغ بين سطح الملجأ وقضبان السكك الحديدية بالرمال (حتى ٥٠ سم) .

(ب) إلى ذلك طبقة من الرمال المقواة بفلنكات سكك حديدية مرتكزة على ناحية واحدة للاستفادة من خاصية المرونة ولتعمل كسوستة ، أو مقواة بقضبان سكك حديدية بدلا من الفلنكات وسكك هذه الطبقة ٣ امتار .

(جـ) طبقة قاسية من قضبان السكك الحديدية المتعامدة (المتقاطعة والمربوطة) أو الملحومة مع بعضها البعض (٣ - ٤ وصات) بارتفاع حتى ٣٠ - ٤٠ سم .

(د) طبقة قاسية من المكعبات الخرسانية المربوطة مع بعضها البعض بأسياخ حديدية (٦ - ٨ طبقات) بارتفاع حتى ٢ متر .

(هـ) ومن ذلك يتضح أن اجمالي سمك الطبقات المختلفة يصل إلى من ٥ إلى ٦ متر .

(و) ولقد تمت تغطية جدران الدشم المختلفة بعدة أساليب كالآتي :
١ - التغطية بواسطة الدبش وذلك بعمل ستائر من سلك الأراب حول أجانب الدشم ومرتفعة عن سطحها بحيث يسمح بترك فراغ يملا بالدبش (قطع من الحجارة) .

٢ - التغطية بواسطة شكاير الرمل وذلك بتطهير اجناب الدشمة أو الملجأ وازالة الردم ثم رص طبقات من شكاير الرمل المقاومة بفلنكات السكك الحديدية ابتداء من مستوى سطح قاع الدشمة حتى يصل الى مستوى القضبان الحديدية ثم يتم رص مكعبات طبقة من الشكاير حتى ارتفاع ٥٠ متر فوق سطح الدشمة .

٣ - التغطية بواسطة حوائط الدبش المحصور داخل تقويضات من السلك الشبكى المسبق صنعه مقاس $1 \times 1 \times 3$ متر .

الدشمة المصرية وخط بارليف :

كان بناء خط بارليف اشارة لرجال المدفعية للبدء فى دراسة الطريقة التى يمكن بها التغلب على هذه الحصون ، والبحث عن وسيلة جديدة قادرة على سحق هذه الدشم . واجريت دراسة عملية اعتمدنا فيها على ما يلى :

١ - مراقبة مراحل بناء النقط الحصينة عن كثب استمرت ليلا ونهارا ، وتم خلالها تصوير كل شىء بالتفصيل .

٢ - عمل سجل تاريخى تفصيلى لكل نقطة حصينة يوضح مراحل البناء والتكوين والقوة وغير ذلك من المعلومات .

٣ - عمل دراسة علمية عن قوة تحمل الدشم والملاجىء ، واجراء الحسابات العلمية اللازمة لذلك .

٤ - معرفة نقط الضعف فى خط بارليف ونقط القوة فيه ، لان كل خط دفاعى لا يد وان تكون له نقط ضعف اذ يستحيل أن يكون قويا فى كل مكان ولو حاولت ذلك لكنك ضعيفا فى كل مكان .



هاونزور ثقيل مجرور له تالير ندمیری کیر



مدفع ثقيل محمول علی شناسیه دبابة

الباب الثالث التحول العظميم

التخطيط والاعداد

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .
« صدق الله العظيم »

بعد ان نجحت القوات المسلحة المصرية من اعادة بناء نفسها
وشن حرب استنزاف دامية ناجحة ، ادارت رأس العدو الاسرائيلي
وافقدته اتزانه ، بدا الاعداد للتحول العظيم واعنى بالتحول العظيم
التحول من استراتيجية الدفاع الى استراتيجية الهجوم .

تقدير الموقف :

قبل اتخاذ أى قرار عسكري تقوم القيادة باجراء ما نسميه
« تقدير الموقف » الذى يشمل عناصر كثيرة اهمها :

١ - العدو .

٢ - ثوائفنا .

٣ - الأرض .

وفى اعتقادى ان من واجبنا تجاه شعبنا الحبيب ان نتحدث
عن تقدير موقف قيادتنا بالنسبة لبدء العدو باختصار وفى بساطة
فكل مصرى يرغب فى ان يعرف عن العدو الاسرائيلي الذى حاربناه
كل شيء ، اما تقدير الموقف بالنسبة لبدء قواتنا فلن نتحدث عنه
الا فى حدود البيانات التى صرحت بنشرها الدولة حفاظا على السرية
وامن الدولة . وسأتحدث عن بند الأرض بتفصيل محدود اصف

فيه طبيعة المانع المائي وطبيعة أرض سيناء حتى تنضج للقارىء بصورة ما واجهه الجندى المصرى من عقبات تخطاها وتغلب عليها في اعجاز وبقاقدار .

العدو :

يعتق العدو الاسرائيلى نظرية الدفاع المتحرك الذى يعتمد أساسا على الاحتياطات القوية الخفية الحركة لتوجيه هجمات و ضربات مضادة قوية لتدمير القوات المعادية التى تنجح في اختراق الخط الامامى ، ومع ذلك قلقد بنى العدو خط بارليف الذى يتكون من ٣١ نقطة حصينة على طول القناة صممت جميعها بنظام واحد (انظر الباب السابق) . وفي رأى أن المهمة الرئيسية لهذه النقاط تلخصت فيما يلى :

— وقاية الأفراد ضد التأثير النيرانى لدفعيتنا وقواتنا الخوية مع قدرتها على الصمود ضد أى هجوم يرى من أى اتجاه لأنها مجهزة بدفاع دائرى يعتمد على سلسلة من نقط النيران الموجودة فوق الساتر تتصل ببعضها البعض ومع الملاجئ والدشم بسلسلة من خنادق المواصلات العميقة . كما زودت هذه الدشم ببعض المراغل (مقفولة بوسيلة ما يمكن فتحها في الوقت المناسب) لانتاج نيران مؤثرة للأجناب وفي الخلف وداخل صحن النقطة القوية .

— اعطاء انذار ببدء العمليات من جانب القوات المصرية .
— اعطاء معلومات دقيقة في الوقت المناسب عن عمليات اقتحام المانع وخاصة في المراحل الاولى للهجوم .
— السيطرة على بعض المناطق الصالحة لعبور القناة والطريق الطولية المؤدية الى عمق سيناء .
— ادارة نيران المدفعية وتوجيه الطيران .

ولقد قام العدو بإنشاء جدار (ساتر) ترابى على طول القناة بارتفاع وصل الى ٢٠ مترا ، وأنشأ عليه مرائب ليران لدباباته وعرباته المدرعة بفاصل من ١٠٠ الى ٢٠٠ متر الامر الذى حقق له كثافة تصل الى ٨ مريض فى كل كيلومتر على طول المواجهة بحيث يمكن لاي دبابة تحتل اى مريض الضرب على قواتنا فى المنطقة الابتدائية للهجوم وعلى الشاطئ الغربى للقناة وانتاج ليران جانبية مؤثرة على القوات أثناء العبور . كما انشأ عددا آخر من السواتر الترابية على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة كيلومترات من الشاطئ الشرقى للقناة بنظام خاص وذلك لاستخدامها كخطوط ليران لدباباته اذا لم تنجح فى احتلال الساتر الترابى الموجود على حدمياه القناة او بواسطة دباباته التى ترند تحت ضغط هجوم القوات المصرية . وبذلك يحقق اول عنصر من عناصر الدفاع المتحرك وهو تكبيد قواتنا القائمة بالهجوم اكبر خسائر ممكنة فى جيوب ليرانية قوية وخلق الظروف المناسبة لقيام احتياطياته بالهجمات أو الضربات المضادة .

ولقد روعي فى انشاء هذه السواتر أن تمكن قواته من منع قواتنا من الانتشار وخلق جيوب من الليران للقضاء عليها فى المراحل الأولى من العبور خاصة وأنها ستكون فى هذه المراحل عبارة عن مشاة صرف مدعمة ببعض اسلحة المدفعية المضادة للدبابات الخفيفة المحدودة العدد .

ولتنفيذ فكرته الدفاعية احتفظ العدو بعدد من الاحتياطيات التى تمركزت على أعماق مختلفة للقيام بهجمات مضادة وضربات مضادة متتالية . فكان له احتياطى محلى تمركز على عمق من ٥ الى ١٠ كم قوته تصل الى سرية دبابات وسرية مشاة ميكانيكية ، واحتياطى قريب على عمق من ١٥ الى ٢٠ كم قوته حتى كتيبة مشاة ميكانيكية مدعمة بسريتين دبابات (٢٦ دبابة) ، ثم احتياطى تكتيكى يصل قوته الى لواء مدرع (١١٠ دبابة) ولواء مشاة ميكانيكية (٣٤٣ عربية مدرعة) على عمق يصل الى ٣٠ - ٤٠ كيلو مترا .

وبدراسة احتمالات اعمال العدو المنتظرة يمكن استنتاج ما يلي :-

١ - اذا تمكن العدو من اكتشاف نوايانا للهجوم يحتمل ان يقوم بتوجيه ضربة جوية مركزة ضد قواتنا بهدف الحصول على السيطرة الجوية بتدمير جدار الصواريخ المصرية والقوات الجوية المصرية ، بعد ذلك تكون لقواته الجوية حرية العمل ضد القوات البرية وخاصة المدفعية .

٢ - بفرض امكان صد الضربة الجوية او تحمل نتائجها وتحول القوات المصرية للهجوم من المتوقع ان يدفع احتياطياته المحمية لتحتل الدبابات والعربات المدرعة مرابض النيران على الساتر الترابي لضرب قواتنا في المناطق الابتدائية للهجوم على الشاطئ القريب واثناء اقتحام قناة السويس .

٣ - بفرض امكان التغلب على ذلك سترتد هذه الدبابات الى السواتر الترابية (خطوط النيران) المجهزة على مسافة من واحد الى ثلاثة كيلومترات شرق القناة وتقوم منها بالتعامل مع قواتنا وتكبيدها اكبر خسائر ممكنة ، وخلق الظروف المناسبة لتدميرها بالهجمات المضادة بالاحتياطيات الاكبر ومنع انتشار قواتنا للأجناب وفي العمق مستفيدة من عدم عبور دباباتنا ووحدات المدفعية المضادة للدبابات الثقيلة في المراحل الاولى من الاستيلاء على رؤوس الكبارى (الشواطىء) .

٤ - بفرض امكان العبور واستيلائنا على الساتر الترابي الموجود على الشاطئ الشرقى وتأخر دبابات العدو وعرباته المدرعة في احتلال مرابضها على هذا الساتر قبل ساعة الصفر من المنتظر ان تقوم هذه الدبابات والعربات المدرعة باحتلال خطوط نيران في العمق (١ - ٣ كم) خلال ٣٠ ق من بدء الهجوم

وتحاول تدمير قواتنا التي عبرت بشرانها مستفيدة من عدم وجود دبابات مع وحدتنا .

٥ - اذا فشلت هذه المحاولات في تدمير قواتنا سيقوم العدو بدفع النسق الثانى التعبوى (الاحتياطى التالى) للقيام بهجمات مضادة ضد اتجاهات نجاح قواتنا بمهمة تدمير رؤوس الشواطىء الابتدائية او منع قواتنا من الانتشار وتكبيدها اكبر خسائر ممكنة وخلق الظروف المناسبة لدفع احتياطياته التعبوية . قوة كل احتياطى حوالى ١١١ دبابة ولواء مشاة ميكانيكى) للقيام بهجمة مضادة قوية ضد كل رأس شاطىء مصرى لتدميره واستعادة الأوضاع على شاطىء القناة .

٦ - اذا فشل هذا الهجوم المضاد سيوجه ضربات مضادة باحتياطياته التعبوية (بقوات أكبر) بفرض تدمير رؤوس الشواطىء واستعادة الأوضاع على شاطىء القناة .

استنتاجات :

من دراستنا لأعمال العدو المنتظرة وفكرته في الدفاع عن القناة يتضح أن أخرج الأوقات والمواقف لقواتنا هي المدة التي ستبقى فيها مشاتنا بعد اقتحامها للقناة الى أن تعبر الدبابات والاحتياطيات المضادة للدبابات ، اذ ستعرض فيها مشاتنا لهجمات مضادة ثلاث : بالاحتياطى المحلى ، والاحتياطى القريب ، والنسق الثانى التعبوى للعدو . وأخطر هذه الهجمات المضادة هي الهجوم المضاد بالنسق الثانى التعبوى الذى تصل قوته ضد رأس شاطىء كل فرقة مصرية الى لواء مدرع (١١١ دبابة) ولواء مشاة ميكانيكى .

وهنا تلعب المدفعية المصرية دورها الحيوى الرئيسى اذ عليها أن تحمى المشاة من هذه الهجمات سواء بشيران الرمى الغير مباشر او بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الفردية التي تعبر مع مشاتنا في المراحل الاولى اعتبارا من سمعت الصفر فعلى المدفعية أن تتعامل

مع هذه الاحتياطات أثناء تحركها على طرق الاقتراب واثناء فتحها للهجوم ثم عليها ان تنتج ستائر من النيران لمنع هذه الهجمات من الوصول الى قواتنا ، وعلى الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ان تدمر اى دبابات تنجح فى عبور ستائر النيران وتقترب من مشاتنا . وسنرى فيما بعد كيف نجحت المدفعية فى ذلك نجاحا باهرا يجعلها يحق قوة النيران المتفوقة فى قواتنا المسلحة ويدعوننا الى تطويرها لان العدو الاسرائيلى حتما سيطور مدفعيته ليتمكن من اسكات المدفعية المصرية وبذلك بضرب قواتنا المسلحة فى اكثر اسلحتها تفوقا عليه .

الأرض :

ان التسلسل الطبيعى لتقدير الموقف ان تحدث عن قواتنا بعد العدو ، ولكنى اثرت ان اتحدث عن بند الأرض لادمج فيها المشاكل التى اعترضت قواتنا وكيف تغلبنا عليها ، ولكى لا اتحدث عن قواتنا بما قد يمس السرية والصالح العام . وسأكتفى فى حديثى عن الأرض بمناقشة ثلاث نقاط رئيسية وهى :

- (ا) الحديث عن قناة السويس كمانع مائى قوى .
- (ب) الحديث عن طبيعة الأرض فى سيناء والمشاكل الناجمة عن ذلك .
- (جـ) تجهيز مسرح العمليات للمعركة الرئيسية قاصرا حديثى على ما يمس المدفعية .

قناة السويس :

عندما اتحدث عن قناة السويس كمانع مائى لا اعتبر ذلك افشاء لاسرار لان شركة قناة السويس والتى كانت فرنسية لديها وصف دقيق مستفيض لكل شئ . ولكن غالبية الشعب المصرى لا يعرف عنها الا النذر اليسير . ولذلك رايت انه يجب ان اتحدث عنها .

ان اهم ما يميز قناة السويس كمانع مائى من وجهة النظر العسكرية ما يلى :

١ - لها شواطىء شديدة الانحدار مكساء بستانر خرسانية او من الصلب تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة تتطلب اعمالا خاصة يلزمها وقت طويل .
وهى صفة تنفرد بها اذا ما قورنت بأى مانع مائى فى العالم هذا قناة بنما .

٢ - يتراوح عرض القناة بين ١٨٠ ، ٢٢٠ مترا كما انها تعتبر من الموانع العميقة جدا اذ يصل عمقها الى ١٨ مترا . كما أن سطح الماء ينخفض عن مستوى حافة الشاطئ بحوالى اربعة امتار الأمر الذى يعوق رسو وسائل العبور المختلفة الا بعد تكسير وتسوية حافة الشاطئ ، كما أن هذا العمق يمنع عبورها خوصا .

٣ - يتغير مستوى مياه القناة ٤ مرات خلال اليوم الواحد (خاصة المد والجزر) بسبب البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ويبلغ فارق النسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمترا فى الجزء الشمالى منها ثم يتزايد كلما اتجهنا جنوبا الى أن يبلغ مترين قرب مدينة السويس . وما من شك أن هذه الظاهرة لها تأثيرها على عبور القناة وهو ما روعى فى تخطيط اقتحامها من حيث التوقيت ومخطط العبور واتشاء المعدات والكمبارى .

٤ - تتميز القناة بسرعة عالية ومتغيرة فهى تبدأ بحوالى ٨ درج متر/ثانية وتصل الى ١٢ متر/ثانية ، كما أن اتجاه التيار يتغير دوريا كل ست ساعات من الشمال الى الجنوب وبالعكس وما من شك أن هذا التغير سيؤثر على انتخاب اماكن الابحار واماكن الابراز (النزل) فى عبور القناة .

٥ - زاد العدو من قوة المانع المائى بأن انشأ على ضفته الشرقية سائرا ترابيا وصل ارتفاعه الى ٢٥ مترا شكل منه مواقع لدباباته وقواته . وبذلك زاد عبء الاعمال الهندسية على القوات عند عبور القناة .

تأثير مسرح العمليات في شبه جزيرة سيناء على الاعمال القتالية للمدفعية :

لقد عاش العدو الاسرائيلى في سيناء بعد حرب ١٩٦٧ مدة تصل الى سبع سنوات درسها فيها دراسة وافية ، كما ان التصوير الجوى العلمى الحديث جعل دراسة اى مسرح عمليات امر سهل وبسيط . ولذلك فحديثنا هنا عن تأثير مسرح العمليات على الاعمال القتالية للمدفعية ليس فيه افشاء لاسرار وانما هى دراسة علمية بحثت احاول فيها أن اسلط الاضواء على سيناء الحبيبة حتى يلم كل مصرى بها كجزء من وطنه ويكون على علم بأهميتها الاستراتيجية لمصرنا .

ينقسم الاتجاه الاستراتيجى الشمالى الشرقى (سيناء - اسرائيل) الى اتجاهين تعبويين هما الاتجاه التعبوى الساحلى والاتجاه التعبوى المركزى . ويمتد الاول بمواجهة من ٤٠ الى ٦٥ كيلو مترا ويصل عمقه الى ٤٥ كم . ويخدم هذا الاتجاه محورين طوليين اساسيين وعدد من المحاور العرضية . والمحاور الطويلة هى محور الطريق الساحلى الواصل بين القنطرة والعريش ومحور الطريق الأوسط الواصل من الاسماعيلية الى العوجة . أما المحاور العرضية فكثيرة وأهمها طريق اسفلتى شرق القناة يسير موازيا لها ويقترب منها في بعض اجزائه الى بضع مئات من الامتار ويبتعد عنها في بعض اجزائه الأخرى الى بضع كيلومترات ، وكذا المحور العرضى الواصل من علامة الكيلومتر ٢٠ طريق الجدى حتى شرق الطاسة ثم الى محطة بالوظة في الشمال . وهذان هما المحوران

العرضيان الموجودان بين القنال والمضايق . وتوجد محاور أخرى هرضية في العمق لا داعى للحدث عنها في الوقت الحالى .

والمنطقة حول الطريق الشمالى بها كثير من المواقع الطبيعية (منطقة سهل الطينة ، ومنطقة الكتبان والغرود الرملية الممتدة جنوب بحيرة البردويل) التى تعوق أو تحد تقدم القوات . فالمنطقة شرق محطة بالوظة متسعة نسبيا وتصلح لسير معظم انواع الحملات ثم تبدأ الكتبان الرملية تحد من الحركة في منطقة رمانة ثم تتسع مرة ثانية حتى بير العبد ثم تضيق مرة أخرى لتلاصق الطريق حتى مصفق وتصبح المناورة من مصفق وحتى العريش معدومة تقريبا . ولذلك فان هذا المحور له خصائص مميزة تؤثر على تنظيم الدفاع عليه كما تؤثر على تنظيم الأعمال الهجومية على طوله . ولقد قمنا بدراسة تفصيلية لكل شبر في هذا الاتجاه التعبوى الهام حددنا بناءا عليها معالم الخطة الواجب اتباعها وحجم القوات التى يمكن أن تعمل في هذا المحور ونوعية هذه القوات . وبالنسبة لطبيعة هذا المحور أمكن لنا تحديد مدى تأثير طبيعة الأرض واتساعها وهيئاتها الحاكمة على تشكيل قتال المدفعية وعلى أعمال استطلاع المدفعية وإدارة النيران .

أما المحور الأوسط (أو محور الطريق الأوسط الواصل من الاسماعيلية شرق حتى العوجة) فيتميز بما يلى :

(أ) المنطقة الممتدة شرق بحيرة التمساح وحتى الطاسة تسمح بأعمال المناورة عدا في بعض المناطق التى تغطيها كتبان رملية مرتفعة مثل منطقة كتيب وأبو كثيرة ، وكتيب الصناعات ، وكتيب الصبحة وكتيب المخازن . . الخ .

(ب) بعد الطاسة تبدأ الكتبان الرملية في الاقتراب من الطريق فتحد من المناورة بل وتحدد اتجاهات عمل معينة .

(ج) يمر الطريق في منطقة اشبه بالمضيق في المنطقة المحصورة بين جبل الختمية وجبل المغارة .

ويتميز المحور الاوسط بوجود بعض المناطق الحيوية عليه والتي بالسيطرة عليها يمكن الحد من تحرك القوات وتقدمها ، كما أن الكثبان الرملية التي تكتنفه تجعل الاعمال القتالية ذات طابع خاص . ويعتبر هذا المحور حتى المضايق هو أنسب المحاور لعمل القوات المدرعة والميكانيكية وأن كان لطبيعة هذا المحور تأثير خاص على اعمال المدفعية بالذات ولكنها لا تؤثر على كفاءة تأثيرها في المعركة .
ويأتى بعد ذلك المحور الجنوبي ويتميز بما يلى :

١ - قرب خط المضايق من القناة ولهذا تأثيره على طبيعة الاعمال القتالية في هذا المحور .

٢ - اهم المضايق على هذا المحور هي ممر متلا ووادي الجدى ومن يسيطر عليها ينعم بحرية المناورة شرق او غرب المضايق .

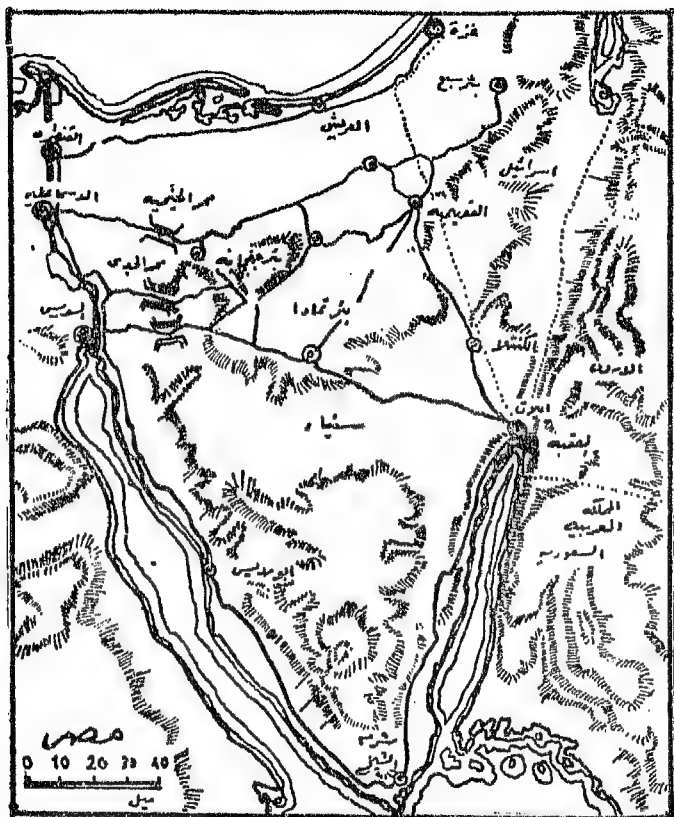
٣ - تتميز اعمال المدفعية على هذا المحور بعدم امكانية تقديم المعاونة النيرانية من محور فرعى الى آخر نتيجة الاراضى الجبلية التى تمنع ذلك . لهذا يتسم توزيع الدعم وخطة استخدام المدفعية بطابع خاص مميز . كما ان نوعية المدفعية الواجب استخدامها في هذا المحور تتطلب مواصفات خاصة .

الجبال والممرات التى تتحكم فى استراتيجيه سيناء :

تعتبر الممرات الجبلية الثلاثة التالية هى مفتاح سيناء : ممر الختمية ، وممر الجدى ، وممر متلا . هذا بالاضافة الى منطقة مصفوق التى تتحكم فى المحور الساحلى .

خطة استخدام المدفعية :

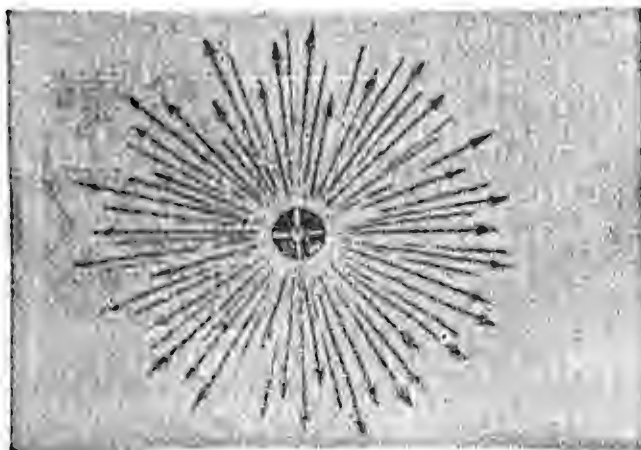
كانت هناك مجموعة من العوامل التى تحكمت فى وضع خطة استخدام المدفعية وتوزيعها على القطاعات المختلفة اهمها : -



شكل (٢٥) الجبال والمرتبات التي تتحكم في استراتيجية سيناء



آثار ضرب المدفعية جعل النقطة الحصينة غير صالحة



هكذا تنتشر الشظايا عند انفجار دانة مدفع

- ١ - ضرورة الحصول على السيادة النيرانية في مسرح العمليات أو بتعبير آخر تحقيق التفوق على مدفعية العدو في كل محور من محاور العمل لقواتنا المسلحة .
 - ٢ - ضرورة تركيز الجزء الأكبر من المدفعية في اتجاهات المجهود الرئيسى للجيش .
 - ٣ - تحقيق كثافات في المدفعية بمختلف أنواعها وخاصة المدفعية المضادة للدبابات بما يحقق امكانية معاونة القوات على تحقيق معدلات عالية لتقدم القوات وصد الهجمات والضربات المضادة للعدو .
 - ٤ - تحقيق الاتزان والثبات لرؤوس الكبارى .
 - ٥ - توفير احتياطات قوية وكافية حتى يمكن مجابهة اى تطور للموقف خلال ايام القتال .
- وطبقا لهذه الاسس والعوامل تم وضع خطة استخدام تفصيلية للمدفعية ووزع الدعم على التشكيلات بالاعيرة المناسبة (توزيع نوعى) وبالحجم المناسب (توزيع كمى) لضمان امكانية التعامل مع النقاط الحصينة ومع مدفعية العدو بعيدة المدى وغير ذلك من المهام .
- وتم وضع مخطط للتمهيد النيرانى روعى فيه الاعتماد عن الاسلوب النمطى نظرا لاختلاف ظروف المعركة عن اى معركة سابقة ، وكان ذلك بمثابة معادلة صعبة اذا كان علينا المفاضلة بين عاملين :
- ١ - ان تكون مدة التمهيد النيرانى قصيرة لحد ما لضمان صب اكبر قدر من الدانات فى اقصر وقت ممكن على دفاعات العدو لتحقيق المفاجأة واعلى كثافة نيران ممكنة .
 - ٢ - ان تكون مدة التمهيد النيرانى طويلة نسبيا بما يضمن تغطية قواتنا اثناء اقتحامها القناة ووصولها الى الهيئات الحاكمة

القريبة وعزل النقط الحصينة ، وتوفير الوقت الكافي للدفعية لتدمير حصون خط بارليف . ولتحديد لحظة بداية التمهيد النيرانى بالنسبة لتوقيت بدء اقتحام القناة أجريت عدة دراسات علمية وعميقة لكل العوامل المؤثرة وأهمها :

— انسب الظروف الجوية لأعمال المدفعية من حيث العوامل التى تؤثر على سير المقذوف فى الجو واختيار الوقت المناسب الذى يتوفر فيه وقت كاف من النهار ليتمكن للمدفعية تنفيذ مهام الرمي المباشر بكفاءة مع عدم اعطاء الفرصة للعدو لتوجيه ضربات جوية متكررة ضد مدفعيتنا لأن ضوء النهار يسهل له اكتشافها واسكاتها .

— انسب الليالى القمرية من حيث اوقات شروق وغروب القمر وشدة الاضاءة وتأثير ذلك على مدى الرؤية وعلى كفاءة أجهزة المراقبة والرؤية الليلة ، وتأثير ذلك على أعمال المساحة للمدفعية وغير ذلك من المسائل . ولقد استغرقت دراسة هذا العامل عدة شهور تم فيها تكوين طاقم عمل من الضباط بدأ عملهم مع غروب الشمس وانتهى مع شروقها يرصدون كل شئ ويدونونه فى صمت وسرية وصبر ثم حللت كل البيانات وخرجنا بأحسن الاستنتاجات .

— زوال الشمس وتأثيرها على الرؤية ، فالشمس فى الصباح تكون اشعتها فى عيون المهاجم من الغرب الى الشرق وبعد الظهر تكون فى صالحه وضد المدافع .

— تمت دراسة استمرت حوالى سنة كاملة تم فيها اخذ متوسطات لسرعة الريح واتجاهاتها على الارتفاعات المختلفة (حتى ٤٠ كم) مع مقارنتها بالمتوسطات التى تنشرها مصلحة الارصاد الجوية فى كتيب عن ٢٠ عاما مضت ، وعملت رسومات بيانية لكل عنصر من عناصر

الاحوال الجوية ومدى تأثير ذلك على ضرب المدفعية
ومنها اتضح أن انسب الشهور منها شهر أكتوبر .
وهناك كثير من الدراسات الأخرى ومنها جميعا تم اختيار يوم
الهجوم وساعته وأن تكون مدة التمهيد النيرانى ٥٣ دقيقة تبدأ قبل
اقتحام القوات الرئيسية للقناة بمدة ١٥ دقيقة وتستمر طوال تقدم
القوات الى أن تصل الى أهداف محددة حيوية (أى الى ما بعد
بداية الاقتحام بمدة ٣٨ دقيقة) .
وبذلك تم تحقيق ما يلى :

(أ) فى المدة التى تسبق الاقتحام للقناة تنفذ قصفة نيران قوية على
جميع الأهداف (نقط حصينة - احتياطيات - مراكز قيادة
وسيطرة - بطاريات مدفعية) يتم فيها توقيع جزاء كافى على
هذه الأهداف وبذلك يتم شلها تماما ومنعها من التدخل ضد
قواتنا وخاصة المفارز التى دفعت مع بداية التمهيد النيرانى
(سعت ١٤.٥) بمهمة الاستيلاء على المواقع المجهزة على عمق
من واحد الى ثلاثة كيلو مترات شرق القناة . لسنتر باقى
القوات اثناء الاقتحام .

(ب) فى المدة من لحظة اقتحام القوات الرئيسية للقناة (أى من
الساعة الثانية ظهرا وعشرون دقيقة) تستمر المدفعية فى
اسكات جميع الأهداف والقيام بتنفيذ مهمة تدمير المنشآت
الدفاعية الحصينة والقيام بعمل ثغرات فى موانع العدو على
الضفة الشرقية فى مواجهة النقاط الحصينة ، وكذا تدمير
مواسير المواد الملتهبة التى انشأها العدو لغمر سطح القناة
باللهب ، مع استمرار النيران على احتياطيات العدو لضمان
عدم تدخلها فى العبور .

(ج) ضمان وصول القوات التى ستقتحم النقاط الحصينة بالمواجهة
أو حتى ستلتف على أجنابها لتهاجمها من الأجناب ومن الخلف
لتصل جميعها فى نفس الوقت الذى ترفع فيها المدفعية نيرانها

من على هذه النقطة بعد أن تكون قد نفذت مهمة التدمير اللازم
وفتح الثغرات في الموانع .

(د) استمرار النيران على بطاريات مدفعية العدو لمنعها من انتاج
نيران مؤثرة على قواتنا .

(هـ) تحديد استهلاك الذخيرة المناسب للتمهيد النيرانى بما يحقق
تنفيذ المهام المكلفة بها المدفعية بكفاءة تامة واختيار الأعمرة
التي تناسب كل منشأة دفاعية للعدو بل وتحديد وضع
جهاز تفجير الدانة بما يحقق للدانة اقوى تأثير تدميرى لها .
وبعد التمهيد النيرانى يأتى ما نسميه مساعدات المدفعية
للهجوم وتعمل لها خطة تفصيلية تبنى على دراسة طبوغرافية الأرض
ومواقع العدو وطرق اقترابه المحتملة وغير ذلك من العوامل التي
تؤثر على الرمى . ولقد تم التخطيط بناء على المعلومات المتيسرة عن
حجم العدو وتشكيل قتاله ونواياه في جميع المراحل والتوقيتات
بناء على دراسات مستفيضة قامت بها ادارة المخابرات والاستطلاع
المصرية . وتم تنسيق ذلك مع معدل التدفق لقواتنا طبقا لمخطط
عبور القناة الذي قام سلاح المهندسين المصري بوضعه بالاشتراك
مع افرع القيادة العامة المختصة ومنها ادارة المدفعية وقيادات
المدفعية بالجيوش الميدانية .

واشتملت خطة استخدام المدفعية على التخطيط للتمسك
برؤوس الشواطىء وصد الهجمات والضربات المضادة للعدو . ولقد
روعى في هذا التخطيط عدد الدبابات المعادية التي ينتظر أن تقابلها
القوات خلال أيام القتال وعدد قطع المدفعية المضادة للدبابات
والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات المتيسرة والكافية لصد وتدمير
هذه الدبابات ، وحساب امكانيات المناورة بالوحدات وبنيران
المدفعية .

ان خطة استخدام المدفعية المصرية وضعت بعناية فائقة واعتمدت
في وضعها على العلم العسكري المتطور ، ولذلك نجحت المدفعية
المصرية في تحقيق اهدافها بكفاءة نادرة شهد بها العدو والصديق .

المفاجأة.

ان تحقيق النصر في المعركة يتوقف على عدد كبير من العوامل
اهمها السلاح كما ونوعا ، والقوات ومستوى تدريبها والروح
المعنوية للأفراد ولكن لاحراز النصر على عدو قوى لا يعتبر ما ذكر
كافيا بل يلزم أن تكون القادة والقيادات على درجة عالية من الكفاءة
والدهاء ، ولها القدرة على استخدام القوى والوسائل المتاحة بفاعلية
ربما يحقق المفاجأة في الموقف السائد .

ان المفاجأة كمبدأ من مبادئ الحرب معروفة منذ القدم . ولقد
حاول القادة في كل الحروب تحقيقها . والتاريخ حافل بانتصارات
حققتها جيوش اقل قوة على جيوش أقوى بفضل المفاجأة وبالرغم
من محاولة تأكيد مبدأ أن التاريخ لا يكرر نفسه قط الا ان الواقع
خلاف ذلك . قدورات التاريخ المفجعة منها والسعيدة تتكرر وان
اختلفت الصورة . فعلى الرغم من علم دول الحلفاء (انجلترا وفرنسا
والاتحاد السوفيتي) بنوايا الالمان ازاء الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١
وعلى الرغم من المحاولات التي جاءت من كافة عواصم العالم تحذرو
الاتحاد السوفيتي الا أن الجيش الاحمر لم يتخذ أى اجراء يدل
على اليقظة والحذر .

وفي صباح الثاني والعشرين من يونيو اجتازت القوات الألمانية
لهر بوج واجتاحت الاتحاد السوفيتي .

وعلى الرغم من علم القيادة المصرية عام ١٩٦٧ باحتمالات
الهجوم الاسرائيلي لم تتخذ أى اجراء يدل على اليقظة ، وفوجئت
هذه القيادة بالضربة الجوية الاسرائيلية وتدمير القوات المصرية على
الارض واختراق القوات الاسرائيلية للحدود .

وفي السادس من أكتوبر ١٩٧٣ فوجئت اسرائيل بانتحام خمس
قرق مصرية لقناة السويس واجتياحها لخط بارليف الحصين ،
وذلك على الرغم من التحذيرات التي تلقتها القيادة الاسرائيلية
العليا .

كيف تحقق ذلك ؟ وكيف حدث أن اسرائيل التي كانت تعتبر
نفسها قوة عسكرية متفوقة ، وتري أنها أصبحت مضرب الأمثال
لكل جيوش العالم ، أصبحت تتخبط كالحيوان المطارد من اجل
بقائها وحياتها اذ أصبحت مهددة بالدمار الكامل .

كيف تمكنت القيادة المصرية من تحقيق المفاجأة ؟ وكيف لم
يحدث الاسرائيليون ؟ أما كيف لم يحدث الاسرائيليون فسألجا الى
بعض الكتب التي صدرت بالخارج لنرى كيف يفكرون رغم ما قد
يكون بها من تحيز . فكتاب كيپور (عيد الغفران) يرجع ذلك الى
ثلاثة اخطاء هي :

(أ) الخطأ الذي ارتكبته ادارة المخابرات بالجيش الاسرائيلي
والمسئولة عن تجميع المعلومات الخاصة بتحركات مصر وسوريا
وتفسيرها .

(ب) والخطأ الذي وقع فيه مجلس الحرب الاسرائيلي الذي اخطأ
في تقدير الموقف ، ووقع في الشرك الذي نصبه له المصريون
دون أن يقيم وزنا للتحذيرات المتكررة القادمة من ادارة
المخابرات الاجنبية .

(ج) والخطأ الذي ارتكبته القيادة العليا لقوات الدفاع الاسرائيلية
التي لم تطعن في التقديرات التي قدمتها ادارات المخابرات
ومجلس الحرب ولم تمض في الاستعدادات الاولى لهجوم
مضاد على الجبهتين .

اما كتاب « نظرة على حرب اكتوبر » الذى الفه ستة مراسلون حربيون بريطانيون فيرجع ذلك الى الاتى :

(ا) خلال السنوات الثلاث او الاربعة السابقة لحرب اكتوبر ركزت المحابر الاسرائيلية على ضرب الفدائيين الفلسطينيين وخاصة لمقاومة نشاطهم بالخارج . ولكن الموارد البشرية الاسرائيلية كانت قاصرة . فلا يجاذ الرجال اللازمين لهذا العمل كان على اسرائيل ان تسحب من مصر وسوريا عددا كبيرا نسبيا من عملائها السياسيين الامر الذى ادى الى نقص مصادر معلوماتها . ومن هنا كان الخطأ الكبير فى جهود المخابرات الاسرائيلية وهو انها علمت تماما بامكانيات المصريين ولكنها لم تعلم او لم تحدد نياتهم .

(ب) ادت الملائمة للفلسطينيين الى عدم الرؤية الاسرائيلية فلقد قصرت العقيلة الاسرائيلية لما أصابها من غرور عن ادراك ان قوة العرب قد تؤدي الى شن حرب شاملة ، وقدرت ان امكانياتهم لا تعدو شن حرب استنزاف فقط وانهم لن يجروا على الدخول فى معركة مع جيش اسرائيل المتفوق . بل ان وزير الدفاع الاسرائيلى - موشى ديان - ورؤساء أركانه المتعاقبين قد عبروا مرارا عن اقتناعهم بأن العرب خفضوا من حرب الاستنزاف الى الحد الأدنى نتيجة اقتناعهم بعدم قدرتهم على مواجهة اسرائيل بل انهم لا يجروون على ذلك .

(ج) ويشرح ابراهام كانزير السبب الذى ادى الى حدوث هذه المفاجأة بقوله :

« لقد كنا نعيش فيما بين عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش فى عالم من الخيال لا صلة له بالواقع . وهذه الحالة النفسية هى المسؤولة عن الاخطاء التى حدثت قبل حرب اكتوبر » .

هذه هي بعض الآراء التي أعلنها محللون عسكريون غربيون واسرائيليون ولا يعينني صدقهم أو خطأهم وإنما أردت ان ألقى بعض الضوء على ما أحدثته الانتصارات المصرية من ردود فعل في كل مكان ، أما رأيي في الرد على التساؤل لماذا لم يحدث الاسرائيليون فالخصه في التخطيط المصري الجيد لتحقيق المفاجأة وفي الصلف الاسرائيلي والفروور بعد النصر السهل الذي تحقق لها في يونيو ١٩٦٧ فظن قادتها أنهم سوبرمان أو جيمس بوند .

المفاجأة وكيف تم التخطيط لها :

كانت المفاجأة من الامور الرئيسية الهامة التي شغلت القيادات المصرية لفترة طويلة ، لأن تحقيقها يؤمن للقوات المسلحة النجاح ويقلل من الخسائر أثناء اقتحام القناة .

وكانت القيادة المصرية تعلم تمام العلم ان اخفاء حشد قوات ضخمة في ظروف التطور الكبير لوسائل الاستطلاع الجوي أمر مستحيل خاصة وان اسرائيل لديها طائرات استطلاع الكتروني حديثة كما ان الأقمار الصناعية الامريكية تمدها بكل المعلومات أولا بأول . الا أن ذلك لا يمنع من امكان تحقيقها وكانت اهم الأشياء المطلوب العمل على تأمينها هي :

(١) خداع العدو عن احتمال قيام مصر بالهجوم وتغذية افتناع القادة الاسرائيليين بأن العرب غير قادرين على الحرب . ولقد نجحت القيادة الاستراتيجية والسياسة المصرية في هذا نجاحا باهرا . فلقد امكنتها اقناع اسرائيل بأن أى حركات عسكرية إنما هي لأهداف سياسية داخلية وخارجية وأسلوب من أساليب الضغط السياسي . حتى أن رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي قال في بيان صحفي يوم ١٩ أبريل ١٩٧٣ ما يلي : « لن يكون من المنطقي ، من جانب المصريين ، أن يبدأوا بفتح النار ، لأن اندلاع الحرب سوف يعود بإخطار جسيمة عليهم » . ويبدو ان موسى ديان ورؤساء أركانه

كانوا جميعا واقعين تحت تأثير اقتناعهم بتفوقهم على العرب عسكريا وعلميا وتكنولوجيا ، وكان المصريين بالنسبة لهم لا يستطيعون شيئا ، بل اقتنعوا بأن المصريين عاجزين عن دخول أى حرب وانهم اذا ما دخلوا الحرب فستتمكن اسرائيل من سحقهم بصورة لا تقوم لهم بعدها قائمة . ونتيجة ذلك رفض موسى ديان الاقتناع بالبداهيات التي كانت تفرضها المعلومات المتيسرة والموقف العام . فكل الدلائل وكل الأعمال التي تمت لفترة طويلة قبل الحرب كانت توحى بأن مصر مصممة على القتال وعلى خوض حرب تحرير مهما كان الثمن الذي ستدفعه ويكفى أن نستعرض خطب الرئيس السادات خلال عام ١٩٧٢ وعام ١٩٧٣ لأدركنا أنه اتخذ قرار الحرب وأن الإجراءات الفعلية لها قد اتخذت . واليك بعض عناصر تحليل الموقف بواسطة ادارة المخابرات الأمريكية عن تحركات المسئولين العرب وعن تحركات الجيوش العربية توحى بأن الحرب في الشرق الاسط وشيكة الحدوث :

في ٢٥ مارس ١٩٧٣ نشرت جريدة الاخبار القاهرية في مقال افتتاحي :

« اننا سوف ندخل قريبا في معارك كبرى مع اسرائيل وعلينا ان نعد انفسنا من اجل ذلك معنويا وماديا » .

وفي ٢٨ مارس ١٩٧٣ خبر من جريدة الانهار البيروتية يقول :
« ان القوات تنقل ليلا ونهارا من القاهرة الى قناة السويس »
وقد اعلنت حالة الطوارئ في الجيش المصري الذي ينتظر قرارا على الكبر جانب من الاهمية قد يصدر بين لحظة وأخرى .

٩ مايو ١٩٧٣ - زيارة المشير احمد اسماعيل الى دمشق اثناء مودعه من العراق .

١٩ مايو ١٩٧٣ - الرئيس السادات يزور دمشق لمدة ٧ ساعات

٦ يونيو ١٩٧٣ - وفد عسكري سوري برئاسة اللواء طلاس يصل القاهرة .

١٢ يونيو ١٩٧٣ - الرئيس السادات يطير الى دمشق لمحادثات مع الرئيس الأسد .

٢٦ سبتمبر ١٩٧٣ - وصول معلومات الى ادارة المخابرات الإسرائيلية تفيد بانتشار اقوات السورية على طول الحدود .

وهناك الكثير من الدلائل التي تؤكد احتمال نشوب الحرب الا ان القادة الاسرائيليين المتعجرفين لم يقتنعوا . ولقد حاول المتحدثون العسكريون الاسرائيليون تعليل ذلك بقولهم : « انهم راوا ولكنهم لم يفهموا » ، كما برروا فشلهم بأنهم تركوا مصر توجع الضربة الاولى مخالفين بذلك الاستراتيجية الاسرائيلية الحقيقية وهي الحرب الوقائية والتي تحتم توجيه الضربة الاولى او ما يسمى ضربة الاحباط . وعلى ذلك فمن المؤكد ان القيادة الاسرائيلية ارتكبت خطأ كبيرا كلف قواتها المسلحة الكثير ، ونجحت القيادة المصرية في استغلال عقدة فرط الثقة فحققت المفاجأة على المستوى الاستراتيجي .

وفيما يلي ما قاله المشير احمد اسماعيل بعد وقف القتال في تصريح له عن الخداع الاستراتيجي : « لقد نشرنا في صحيفة الاهرام خبرا يقول انه قد سمح للضباط والجنود بتأدية فريضة الحج ، كما اعلنا ان وزير الحربية الروماني سوف يصل الى القاهرة يوم ٨ أكتوبر » .

(ب) اختيار انسب توقيت للعملية الهجومية :

اهتمت القيادة العامة بدراسة انسب توقيت للهجوم . ولقد استمرت هذه الدراسة لمدة طويلة لان اختيار هذا التوقيت سيكون له اثر بالغ في تحقيق المفاجأة وبالتالي تحقيق النصر . وما من شك ان التوقيت يشتمل على ثلاث عناصر : انسب شهور السنة ،

وانسب ايام الشهر ، وانسب ساعة « س » (أى لحظة بدء اقتحام القناة) .

ولاختيار هذا التوقيت كما علينا أن نستفيد من العوامل السياسية والطبيعية وأن نعطي الفرصة للقوات المسلحة لتستكمل استعداداتها دون كشف لنية الهجوم . ولقد أدت بنا الدراسة المستفيضة العملية (١) الى اختيار شهر اكتوبر كانسب شهر للعملية والسادس من اكتوبر كانسب يوم والساعة ١٤٢٠ كانسب ساعة من وذلك للأسباب الرئيسية التالية :

١ - كان شهر اكتوبر انسب شهر للعملية للأسباب :

— يعتبر اكتوبر انسب شهور السنة بالنسبة للأحوال الجوية والمائية المناسبة للعمليات البرية والبحرية والجوية .

— ليل اكتوبر طويل يصل الى ١٢ ساعة .

— يأتي شهر رمضان المبارك خلال شهر اكتوبر ، ولا يتوقع الاسرائيليون قيام مصر بأى عمليات خلال هذا الشهر فلنا منهم انه شهر كسل وخمول وان المسلمين لا يحبون الحرب فيه حتى لا يضيعوا متعة الصيام .

— يزدحم شهر اكتوبر بأعياد اسرائيلية ودينية منها عيد الغفران .

— ستكون اسرائيل مشغولة بعدد من الحوادث منها الاستعداد للانتخابات العامة .

٢ - ولماذا السادس من اكتوبر ؟

— يوافق السادس من اكتوبر العاشر من رمضان وهو تاريخ إسلامي حبيب وهو يوم معركة بدر الذي انتصر فيها المسلمون على الكفار ولهذا أطلقت على العملية الاسم الكودى « العملية بدر » .

— يناسب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ عيد الغفران (كيبور)
الاسرائيلي وفيه تتوقف الحياة في اسرائيل فضلاً عن كونه يوم
سبت وغفلة نهاية الأسبوع .

— بالنسبة لأيام الشهر العربي وحالة القمر وتوقيتات شروقه
وغيبابه ويعتبر العاشر من الشهر العربي انسب توقيت للقمر
ففيه يتميز ضوء القمر بالشدة المناسبة التي تساعد على
الرؤية لمسافات معقولة ، كما ان توقيتات الشروق والغروب
مناسبة .

— يعتبر فرق منسوب مياه القناة في هذا اليوم مناسباً لعملية
المعبور .

٣ - اما بالنسبة لساعة « س » فلقد حظيت بجدل كبير
واستغرقت الدراسة بالنسبة لها وقتاً طويلاً حتى ان تقريرها كان
موضوع مناقشة بين المشير أحمد اسماعيل والقيادة السورية خلال
آخر زيارة لسيادته لسوريا في ٢ أكتوبر ١٩٧٣ . ولقد أدت الدراسة
الى انسب توقيت لساعة س ما بين الساعة الثانية ظهراً او الثالثة
ظهراً للأسباب التالية :

— ان يتوفر للقوات الجوية المصرية والسورية الوقت الكافي نهاراً
لتنفيذ الضربة الجوية المركزة وأن تتاح لها فرصة تكرارها .

— ان تتوفر للمدفعية المصرية الفرصة لضبط نيرانها نهاراً وتنفيذ
الرمي المباشر لتدمير النقاط الحصينة لخط بارليف وأن تتفقد
التمهيد التيراني بكفاءة ليتمكن مراقبة النتائج وتصحيح الضرب
إذا لزم الامر .

— ان تتمكن القوات السورية من اجتياز الخندق المضاد للدبابات
الذي حفره العدو على طول المواجهة وأن تستولى على المرتفعات
الهامة قبل آخر ضوء .

— لا تتوفر للعدو الاسرائيلي الفرصة الكافية نهارا لتركيز قواته الجوية والرد على الضربة الجوية المصرية السورية . كما أن احتياطاته القوية في العمق ستحتاج لوقت طويل نسبيا للوصول الى الجبهة وتوجيه ضربات مضادة قوية والوقت المتبقى نهارا لا يكفي لها لتنفيذ ذلك . وعليه فلن تتم الهجمات والضربات المضادة الرئيسية قبل أول ضوء اليوم التالي لتجد القوات المصرية وقد استعدت للقائها وتدميرها .

— ان يتوفر الوقت الكافي نهارا لاسقاط معدات العبور الثقيلة — ان تكون اشعة الشمس في وجه العدو اثناء عبور القوات وبذلك بحيث يبدأ العبور بعد حلول الظلام مباشرة .
تقل كفاءة العدو في المراقبة والتصويب .

— امكانية فتح الممرات في السائر التراي باستخدام مدافع المياه نهارا لتحقيق اسرعة في العمل .

— ابرار قوات الابرار الجوي والصاعقة قبل آخر ضوء مباشرة على طرق اقتراب احتياطات العدو ولتعطيل تقدمها وبذلك تتوفر للقوات الوصول الى خطوط صد مناسبة ومجهزة .

(ج) سرية التخطيط والتحضير للعملية :

لتحقيق المفاجأة كان لزاما المحافظة على السرية . ولقد تم اختيار أسلوب محدد في التخطيط ونزول المعلومات الى المستويات المختلفة في توقيتات محددة مناسبة بما يضمن عدم تسرب المعلومات . كما تم اختيار الافراد المشتركين في التخطيط بعناية فائقة بما يضمن السرية ولقد روعي في تلقين مهام العمليات لبعض المستويات على انها مشروعات تكتيكية تدريبية . كما قامت أجهزة الامن بوضع نظام خاص لتداول الوثائق على كافة المستويات يضمن عدم تسرب المعلومات او احتمال حدوث أى اخطاء . وخلال التخطيط العسكري الذي استمر لفترة طويلة كان الرئيس السادات يسير قدما في تنفيذ

استراتيجية مصرية ناجحة تهدف الى تجميع كلمة العرب ، ووضع
مخطط عربى مشترك . وكانت استراتيجية السادات ترمى الى :
خلق جو سياسى عالمى مؤيد للعرب وحقهم فى استرداد الارض
المغتصبة .

تحقيق ميزة فتح ثلاث جبهات أو جبهتين على الأقل ضد
اسرائيل .

اعداد الدولة للحرب اقتصاديا ومعنويا .

ولقد نجحت الاستراتيجية السياسية للرئيس السادات فى
خلق خلفية مناسبة وجو مناسب لاي عمل عسكري تقوم به مصر .
فلقد نجحت مصر فى الحصول على تأييد الدول الأفريقية واصبحت
اسرائيل معزولة فى العالم النامى بشكل لم يحدث من قبل . وبدأ
سبيل المهاجرين الى اسرائيل ينخفض بشكل ملحوظ وأصبح اعتماد
اسرائيل فى الهجرة ينصب اساسا على المهاجرين من الاتحاد
السوفييتى فقط . بل لقد لوحظ أن الدعم الاقتصادى لاسرائيل
من اليهود الغربيين قد انخفضت معدلاته الى حد كبير .

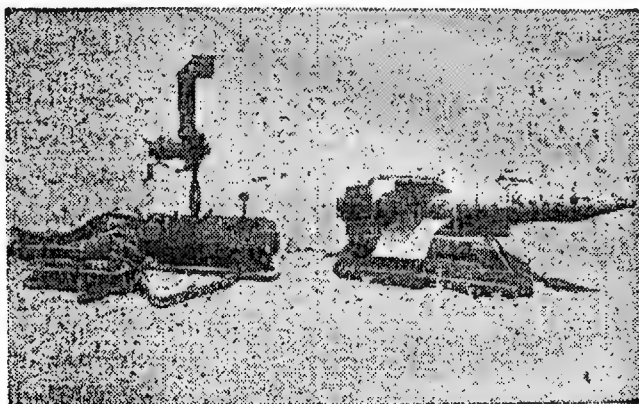
(د) استمرت أعمال التجهيز الهندسى لمسرح العمليات حتى
لحظة بدء التمهيد النيرانى الساعة ١٤.٥ . وكانت تعمل فى هذه
التجهيزات العديد من الشركات القائمة ببناء قواعد مرتفعة للسيطرة
بالنيران على الضفة الشرقية من الضفة الغربية . ولذلك خدعت
القيادة الاسرائيلية وظنت أن التحركات العسكرية والحشود التى
تمت فى منطقة القناة ما هى الا مناورات الخريف .

(هـ) وفى النهاية يمكن القول بأن المفاجأة تؤمن أقصى نجاح ممكن
بأقل استهلاك للقوى والوسائل والوقت . وعلى الرغم من التطور
التكنولوجى العظيم الذى قد يوحى باستحالة تحقيق المفاجأة الا أن
مصر حققتها فى حرب اكتوبر بفضل التخطيط الجيد والإيمان بالله
وبالوطن وبالنفس . وأن تحقيق مصر للمفاجأة لم يكن من قبيل

الصدفة لان ذلك مستحيل علميا . فتحقيق المفاجأة يتطلب عقلية نابهة وعلماء غزيرا وعملا كبيرا وهو ما حققته القوات المسلحة المصرية في حرب رمضان .

لتحقيق المفاجأة توجد اساليب عديدة لا يمكن ان نوضح لها انماط ثابتة . ولكن من اهم اساليب تحقيقها استخدام اسلحة جديدة او استخدام سلاح متيسر معروف ولكن بكفاءة عالية لم يتوقعها العدو . ولقد كانت كفاءة المدفعية المصرية وقوتها مفاجأة للعدو ، كما وأن نجاح رجل المدفعية في استخدام الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (المالتوكا) كان مذهلا للعدو وجعل دباباته حطاما .

واليك منشور اذاعه قائد أحد الفرق المشاة المصرية على رجاله يحثهم على القتال ومتابعة النجاح ويمجد فيه أبطال حرب أكتوبر من رجال المدفعية - رجال الفهد - يقول فيه : -



يطلق حرب أكتوبر - الصاروخ الموجه المضاد للدبابات الذي يحمله جندي المدفعية على ظهره

الباب الرابع

القتال

اقتحام قناة السويس

في ايام خمس من اكتوبر استدعى قائد الجيش الثانى اللواء/محمد سعد الدين مأمون القادة ليبلغهم عن سعت س وهى الساعة التى يبدأ عندها اقتحام القوات الرئيسية للقناة . او بتعبير ادق هى لحظة ايجار الموجة الاولى من القوات الرئيسية من الشاطئ القريب للقناة . وكانت تعليماته تنص على ان يبدأ تبليغ قادة اللوآت بها فى الساعة التاسعة من صباح ٦ اكتوبر حيث يبدأ تسلسل وصول التوقيت الى القادة على التوالى فى سرية تامة الى ان يبلغ الجنود الساعة ١٢.٠٠ وليس قبل ذلك . وتم تنفيذ تعليمات القائد بكل دقة .

وعندما اشارت عقارب الساعة الى الواحدة ظهرا (الساعة ١٣.٠٠) كانت مراكز القيادة على مختلف المستويات قد اتخذت اماكنها فى سرية تامة ، ولم يلحظ العدو الاسرائيلى اى تغيير فى اوضاع القوات ، بل كانت هناك جماعات كسل من الجنود تجلس فى استرخاء على حافة القناة يتناولون بعض المربطات وقد تدلت ارجلهم فى مياه القناة وليس معهم حتى سلاحهم الشخصى او خوذاتهم . هذا فى الوقت الذى كانت فيه مراكز ملاحظات المدفعية تمركز كل مسكنة فى قطاع مسئولياتها . وتم فى الفترة من الساعة ١٣.٠٠ وحتى الساعة ١٤.٠٠ تأكيد اهداف المدفعية . ويدات فى الساعة ١٤.٠٠ تصل اولى البلاغات عن استعداد القوات وكان اولى بلاغ هو بلاغ قائد مدفعية الجيش الثانى الى قائد الجيش الثانى .

النيل (اسم رمزي للدفعية الجيش الثاني) حاضر لتنفيذ مامون
(الاسم الرمزي لأول قصفة في التمهيد النيرانى) . ووصل اسم
قائد الجيش : « كل شيء فى مينعاده » .

كانت مقارب الساعة تشير الى الثانية وأربع دقائق من بعد
ظهر السادس من اكتوبر عندما مرفت فوق القناة الطائرات المصرية
متجهة الى اهدافها . وفى الثانية وخمس دقائق اصدر قائد المدفعية
امره : « النيل اضرب » فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها
على النقاط الحصينة لخط بارليف وأماكن تركز احتياطيات العدو

وبينما استمر أكثر من ألفى مدفع ميدان ومتوسط وثقيل
وصواريخ وهاونات تصب حممها على خط بارليف ونقطة الحصينة
وفير ذلك من الأهداف بدقة وكثافة وقوة لم يسبق لها مثيل راح
عدد كبير من المدافع يطلق نيرانه بالرمي المباشر على مزاغل الدشم
ونقط النيران المكتشفة ويفتح الثغرات فى مواقع الأسلاك الشائكة
والألغام .

ومع بداية التمهيد النيرانى وتحت ستر هذه النيران الفعالة
القائلة اندفعت مفارز من القوات تعبر القناة لتستولى على مصاطب
الدبابات الموجودة فى العمق القريب وتبث الألغام والشرار فى
المصاطب الأخرى وتنصب الكمان على طرق اقتراب احتياطيات
العدو المحلية لمنعها من التدخل فى اقتحام القناة بواسطة القوات
الرئيسية التى ستتم بعد دقائق .

وكان التمهيد النيرانى للدفعية المصرية من القوة لدرجة أن
معظم بطاريات مدفعية العدو (أكثر من ٩٠ ٪ منها) أسكتت
منذ اللحظات الأولى ولم تتمكن من انتساج أى نيران مؤثرة على
قواتنا ، فكان ذلك أول بادرة للنصر الذى حققه جيش مصر
الياسل .

ويكفى للدلالة على قوة هذه النيران أن تعلم ما يأتى :

x كانت كثافة النيران ١٧٥ طلقة/ثانية .

x كان عدد الطلقات التي ضربت في التمهيد النيرانى ١٠٠٠٠٠ طلقة .

x كان وزن الدانات التي اطلقت في التمهيد النيرانى ٣ مليون كجم .

x كان عدد الطلقات التي اطلقت في الدقيقة الاولى من المدفعية ١٠٥٠٠ طلقة .

ان كتاب نظرة على حرب الشرق الاوسط يصف مشاعن وبلاغات احدى نقط مراقبة العدو خلال التمهيد النيرانى فيقول على لسان جندي اسرائيلى جاء به حظه العاثر الى الجبهة المصرية :

« المصريون ينزلون قواربهم تحتنا مباشرة .. انهم يعبرون الآن .. مملوءة بالكثير من الجنود .. ينزلون ومعهم مقذوفات موجهة مضادة للدبابات .. بعض الدبابات الفردية تهاجم المصريين .. قوات مدرعة تعبر .. كثير منهم يقتلون الى الشاطئ ويتقدمون للامام ومعهم الصواريخ المضادة للدبابات .. ست هيلكوبترات بها كوماندوتز مصريون تمر فوقى .. دبابة ت ٥٤ في مواجهتى .. انها تطلق النيران علينا .. قوارب كثيرة اخرى تعبر .. موجة خلف موجة .. انهم ينتشرون في منطقتنا يحاولون تطويقها .. انهم يغرسون علما .. المصريون ينصبون كوبرى .. العربات تسقط البراطيم .. قوافل ضخمة .. كثير من المدرعات .. دبابات ، لولرى ، مدفعية صاروخية ، ارتال من عربات الجيب والمدافع .

ان المراقبين الاماميين يشكون : لماذا لم تعمل القوات الجوية الاسرائيلية ؟ ..

بطارية هاون تقوم بتقدير المسافة واصبحت ساحة النقطة

القوية مغطاة بالشظايا كوجه ملء بآثار الجسدي . ان ضرب
المدفعية على النقط القوية سيحولها الى حطام ..

لقد كان العدو في ذهول .. ماذا حدث وماذا يجري بعسك
مضى هذه الفترة الطويلة على ايقاف النيران .. هل جن المصريون
ليعبروا القناة ليواجهوا جيش الدفاع الاسرائيلي الذي اقنعه
قادته زيفا بأنه جيش لا يقهر ؟

ولشدة ما كانت الفرحة تعلو وجوه كل جندي مصرى وهو
يعبر القناة ويتسلق الساتر الترابى فى سرعة وسهولة كأنه شيطان
او مارء .

ويصف كتاب عيد الفجران مشاعر جندي اسرائيلي آخر اذهلته
المفاجأة فيقول ؛

« كان موردخاى جالسا فوق برج المراقبة فى هدوء فى مواجهة
اكوبرى الفردان عندما دوى انفجار يصم الاذان اخذ يزوداد تضخما
حمله على أن ينبطح على الأرض . كان تشكيل كبير من الطائرات
الثقاة المصرية تطير على ارتفاع منخفض وتكاد تلمس الأرض
الرملية .

ويندفع الى يساره ولم تمض سوى بضع ثوان الا وشهدت
عيناه مياه قناة السويس قد غطيت فجأة بعشرات القوارب
وبداخلها رجال راخوا يجذفون بكل قوتهم ويعبرون بها المانع
المائى من الغرب الى الشرق . فغمغم قائلا : غير معقول أن المصريين
يعبرون القناة . وبضربة واحدة ترنح برج المراقبة الطويل وتمايل
وظل معلقا على ثلاثة من سيقانه وفقد مردخاى توازنه ، وتعلق
بكل ثقله فى السياج المعدنى الذى تولى منه حطام النظارة المكبرة
التي كان يستخدمها . وفى رعبه أخذ يتطلع تحته ليرى عشرات
الجنود المصريين وقد أصبحوا فوق الساتر الترابى واخذوا
يندفعون فى كل اتجاه .

ولم يفهم مردخاى النسيب في ان الفيلم الذى يدور حوله
 قليل صامت انه لم يدرك الا فيما بعد عندما هبط من البرج . لقد
 أصبح اصمًا نتيجة قذيفة المدفع المضاد للدبابات التى انطلقت من
 الضفة الغربية فأصابت البرج .

معارك مصاطب الدبابات :

انشأ العدو عددا كبيرا من السواتر الترابية اطلقنا عليها
 مصاطب الدبابات طول كل منها يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ متر
 وبارتفاع وصل الى عشرة امتار وميل تدريجى وصل من ١ الى
 ١٠ ، وذلك على أعماق مختلفة على جميع المحاور المحتمل أن تعمل
 عليها قواتنا . وكانت هذه المصاطب تعتبر خطا دافعا ثانيا
 تستند عليه دباباته التى يدفعها من العمق لتركبها وتسيطر
 بترانها على الأرض المحيطة وبذلك يمكنها أن تقطى على أى قوات
 مصرية تنجح في التغلب على المانع المائى والسائر الترابى المنشأ
 على شاطئه .

والسيطرة على هذه المصاطب وحرمان العدو من استخدامها
 دفعت مجموعات اقتناص دبابات مسلحة بالقاذف الصاروخية
 و ب . ج . والمقذوفات الموجهة المضادة للدبابات التى يحملها جنود
 من المدفعية على الظهر وألغام مضادة للدبابات وقنابل مضادة
 للدبابات ، وكانت مهمة هذه المجموعات اقتحام القناة مع بداية
 التمهيد النيرانى والوصول الى السواتر واحتلالها وصد أى
 هجمات مضادة لاحتياطيات العدو .

وبعد حوالى ١ - ١٥ ساعة دفع العدو باحتياطياته المحلية
 للقابلة الهجوم المصرى وكان يعتقد انه سينجح في تدمير الهجوم
 المصرى ورده على أعقابهِ ، وهنا حدثت المفاجأة فلقد واجهته
 مجموعات اقتناص الدبابات قذمرت معظم هذه الاحتياطيات وان
 مكنت بعض الدبابات الفردية من الاختراق والوصول الى

الشاطئ، ولكن سرعان ما تمكنت قوات العبور الرئيسية من تدميرها وبذلك فشل الهجوم المضاد المحلى نتيجة معارك مجموعات اقتناص الدبابات كلها بطولة وفداء وتعاون .

« ما كادت كتيبة بارخ تتلقى الأمر بالتحرك للهجوم المضاد حتى انتفضت للتحرك . وكان أكثر الأشياء التى اهتم بها هي التزود بكميات كبيرة من الشطائر والملابس الداخلية وما يمكن أن يقرأ قطعاً للوقت فلقد كان يشعر انه منطلق في جولة ونزهة .. الا أن باروخ وزملاءه سرعان ما تبينوا أن الأمر ليس كذلك . لقد انطلقوا بدباباتهم بكل سرعة وأصبحوا الآن تحت نيران المصريين .

ان المشكلة التى تعلموا مواجهتها هي المدفع المضاد للدبابات بعدها يلتفتوا الى المشاة . ولكنهم شاهدوا كرات من النار تتراقص في الهواء وتندفع نحوهم . وادركوا فيما بعد أن هذه هي الصواريخ المضادة للدبابات .

(من كتاب كيبور)

« وعند محور الاسماعيلية كانت عدة وحدات اسرائيلية مدرعة مشتبكة في قتال يائس مع القوات المصرية . وكان اسحق وهو شاب اسرائيلى غررت به أحلام اسرائيل ضمن تلك القوة وكان داخل دباباته مع قائد الفصيلة عندما تلقى اللواء الأمر بالهجوم المضاد . ويقول اسحق :

لم اكن أعرف على بعد كم كيلومتر من القناة كنا نسير عندما أصيبت دباباتنا وكان علينا أن نتصل مع أحد مواقعنا الحصينة في خط بارليف . الا اننى لم أستطع اطلاق أول طلقة من مدفعي فلقد أصيب برج الدبابة وأصيب قائد الفصيلة ولقد رايت أنه يلقي بنفسه خارج الدبابة . كانت ساق الضابط قد تحطمت تحت الركبة اخلينا الدبابة قبل أن تنفجر وابتعدنا عنها . وكان الليل

ما حولنا . وفجأة ظهرت إحدى دبابتنا وهي تحرى متراجمة الى الوراء ، واذا بها تصاب بصاروخ مصرى وتنفجر . فقلت للملازم ها هي واحدة أخرى تتحطم . لقد هلكنا .

(من كتاب كيور)

المدفعية المصرية تصد الضربات المضادة :

في أقل من ست ساعات وعلى وجه التحديد حوالى الساعة ١٩٣٠ كانت القوات المصرية قد استولت على أكثر من نصف نقط العدو الحصينة وعزلت الباقي منها ، وبدأت القوات في تصفيتها واستعدت لتطوير الهجوم في العمق . وكان الموقف على الجانب الآخر كما وصفه بنحاس ساير وزير المالية بعد ذلك مرعبا : « لم تكن هناك سوى خطوة واحدة باقية ثم تباد اسرائيل تماما » . وبدأ اليأس يدب في نفوس القادة الاسرائيليين حتى ان ديان اقترح اخلاء جميع القطاعات الحصينة في خط القناة وأن يوقفوا معارك الدبابات وأن يقيموا خطا جديدا بالقرب من المرات على مسافة ٣٠ كم شرق القناة .

وقبل ان يبرز فجر اليوم التالى كانت القوات المصرية قد وصلت الى عمق ٥ - ٦ كيلومترات وتم عبور أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة . وخلال السابغ من اكتوبر بدأت قواتنا في تطوير هجومها شرقا ووصلت الى عمق من ٨ الى ١٠ كم حيث بدأت تستعد لصد الهجمات المضادة للعدو الاسرائيلى المتوقعة . وكان للمدفعية المصرية فضل كبير في تحطيم كل الهجمات المضادة التى تمت في الثامن من اكتوبر ١٩٧٣ (اليوم الثالث للقتال) .

وفي فجر الثامن من اكتوبر ابلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذى تم دفعه في العمق ليلة ٦ - ٧ اكتوبر عن وجود لواء مشاة ميكانيكى للعدو مدعما بعدد كبير من الدبابات متجمعا على الطريق

الوسط وبعيد الملىء . وبسرعة تم تقدير الموقف واتضح انه في مرمى حوالى ٢٠ كتيبة مدفعية . واقترح قائد مدفعية الجيش الثانى على اللواء محمد سعد الدين مأمون أن يتم ضرب حشد نيران هذا اللواء قبل أن ينتهى من اجراءات اعادة الملىء ، فصدق سيادته على ذلك . وتم تأكيد احداثيات مكان اللواء . وتم تنفيذ قصف نيران مدتها ١٠ دقائق بعشرين كتيبة مدفعية على هذا اللواء . وكم كانت سعادة الجميع عندما وصل البلاغ من مجموعة مؤخرة كانت قد دفعتها قيادة الجيش الثانى فى العمق تؤكد أن النيران كانت مؤثرة وأن الحرائق تشتعل فى كل مكان وأن هذا اللواء تعرض لخسائر جسيمة جعلته غير قادر على دخول المعركة لفترة طويلة وأن الكثيرين منه قد قروا من الجحيم . وأكدت عناصر الاستطلاع الاسلكى هذا البلاغ عندما التقطت استغاثات قائد اللواء وبلاغاته عن خسائره الجسيمة .

وفى قطاع الفرقة ١٨ مشاة قامت مدفعية الجيش الثانى بحشد نيران عشرة كتائب مدفعية على لواء مدرع حاول التقدم من بالوظة فى اتجاه القنيطرة لتوجيه ضربة مضادة ضد قوات الفرقة ١٨ . وكان هذا الحشد اسمه (تل أبيب) اشتركت فيه مدفعية الفرقة ١٨ مشاة وجزء من مجموعات مدفعية الجيش الثانى وكانت نيران الحشد مؤثرة وناجحة ارتدت على اثرها اللواء المعادى مدعورا دون أن يوجه هجمته المضادة ، وكان ذلك نجاح باهر لنيران المدفعية شهد به قائد الفرقة ١٨ مشاة وكل رجالها الأبطال . وكم كانت سعادتي عندما اتصل بين أحد قادة مدفيعات الاولوية ليبلغنى أن قائد اللواء يشنى على رجال المدفعية الذين منعوا دبابات العدو من الوصول الى الحد الامامى لقواته ، وأنه زاد اقتناعا بأن نيران المدفعية تدمر ما يزيد عن ٣٠ ٪ من دبابات العدو ، وهو العمل العالمى المعروف .

لما رجال الفهد أبطال حرب أكتوبر فالحديث عنهم يحتاج

لكتاب خاص . رجال ضربوا المثل في البطولة والتضحية . ولقد سمعنا الكثير عن صائدي الدبابات ، وكمثال فقط أنشر ما كتبته جريدة الاخبار المصرية عن عبد العاطي صائد الدبابات في عدها الصادر يوم ؟

وفي التاسع من اكتوبر كان موقف القوات المسلحة على جبهة القناة سيئا ، فلقد نجحت القوات المصرية في توسيع رؤوس الكبارى الى عمق كبير وصل الى ١٥ كم ، وفشلت الهجمات والضربات المضادة التى شنتها المدرعات الاسرائيلية بحشود كبيرة ووقع في الأسر الكولونيل عساف ياجورى الذى قام بلوائه (اللواء ١٩ المدرع) بتوجيه ضربة مضادة في اتجاه الفردان . ويتضح من حديث موشى ديان يوم ٩ اكتوبر (في مؤتمر صحفى) أمام مجموعة من المحررين ورؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية الموقف الاسرائيلى على الجبهة المصرية . واليكم مقتطفات من هذا الحديث :

« ان الشيء الوحيد الذى نتفوق فيه هو الطيران . . لقد أخذت كافة التحصينات على طول القناة ، وتم ذلك بنظام في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى في انتظام أقل . فلم يعد لها فائدة بالنسبة لنا . اننا لا نستطيع في الوقت الراهن صد المصريين من الجانب الآخر . ولعل لهذه الحقيقة مدلولات كثيرة منها دلالتان واضحتان : أولا لقد أدرك العالم كله الآن اننا لسنا بأكثر قوة من المصريين ، وان الهالة التى تتوجنا اذا هاجم العرب فان الاسرائيليين سيحطمونها - قد سقطت اما الدلالة الثانية فهى انه اذا تعدر علينا دفع المصريين فانهم سيواصلون حشد القوات ، واننى أخشى اذا ما تحولوا الى الهجوم ان نضطر لأن نقف على خطوط أخرى . اننى لا أستطيع أن أضمن ما سوف يحدث ، ومن المحتمل أن أفكر في الانسحاب الى خطوط أقل تبعثرا وأكثر أمنا وتضم مقبات طيورغرافية تمكنا من تنظيم خطة دفاعية أفضل . اننى

افصد بذلك خطا يمتد من مصر متلا الى قناة السويس
يفلق الطريق نحو الجنوب من ناحية شرم الشيخ وذلك
كى نتفادى فتح ابو رديس امام الغزو المصرى . . اننا ندفع كل
يوم الضريبة فى صورة معدات وقوات وطيارين وطائرات ودبابات .
لقد دمرت المئات من مدرعاتنا فى المعركة . . لا اعرف كيف ستنتهى
هذه الحرب . . ان ما يعيننا هو مستقبل دولة اسرائيل . لتذهب
الى الشيطان البحيرات المرة او ما سواها . اننا فى حاجة للمدركات
والطائرات القادرة على حماية أمن بلادنا . ورغم كل شئ فان
القوات تتاكل واننى امل ان يرسل لنا الامريكيون الطائرات . لقد
وافقوا ان يزودونا بطائرات فانقوم جديدة وامل ان يزودنا
بالمدرعات كذلك » .

ويتساءل ديزانتشيك (معاريف) قائلا : لقد استخلصت من
خلال عرضك انه منذ عصر بن جوريون كنا نصرح دائما باننا قادرون
على مواجهة الجيوش العربية مجتمعة اذا ما شئت هجوما علينا ،
ولكن هذا الراى لم يعد صالحا الآن .

ويسال صحفى آخر : هل تستطيع يا سيدى الوزير ان تشرح
لنا كيف اننا انتصرنا على السوريين رغم غياب المواقع الطبوغرافية
بينما نواجه مع وجود مانع قوى مثل القناة مشكلات على الجبهة
الجنوبية ؟

ديان : « فى الواقع كانت هناك امور غير متوقعة . فلم نستطع
ان نمنع بناء الجسور على القناة . وكان اعتقادى انه اذا ما نجح
المصريون فى بناء جسورهم ليلا فان فى وسع مدرعاتنا ان تدمرها .
ولكنه اتضح ان معداتهم الجديدة - وبصفة خاصة صواريخهم
افعالة جدا ، فلقد دمرت لنا الكثير من المدرعات بهذا السلاح . ان
محاولة الاقتراب من القناة وتدمير الجسور كانت امرا بالغ الصعوبة
وكلفنا الكثير . لقد سارت الامور على خلاف ما كنا نتوقع » .

وتأتى اقوال العقيد عساف ياجورى الذى وقع فى الأسر يوم ٩ اكتوبر بعد ان تم تدمير لوائه (اللواء ١٩٠ مدرع) بواسطة قوات الفرقة الثانية المشاة المصرية بالتعاون مع احتياطي المدفعية المضادة للدبابات للجيش الثانى الميدانى لتوضيح مدى نجاح المدفعية فى تكبيده خسائر جسيمة فى قواته قبل دخوله المعركة . فلقد جاء فى اقواله أن قواته تعرضت طوال تقدمها من بالوظة وحتى قيامه بالهجوم المضاد فى قطاع الفردان لقصف مؤثر من المدفعية المصرية ادى الى تدمير اكثر من ٧٠ ٪ من مشاته البكائية ، وأنه تصور ان دقة النيران وتأثيرها الشديد لا يمكن أن تكون كذلك الا اذا كان هناك ضابط مدفعية مصرى يقف على برج دبابة (اى دبابة عساف ياجورى) يصحح نيرانها على قواته . ان عساف ياجورى لم يكن يتصور أن ضباطا من المدفعية دفعوا فى العمق لهذا الغرض - لتصحيح النيران على احتياطيات العدو المتقدمة ، فمن واجب المدفعية أن تسكت هذه الاحتياطيات وتدمرها على طرق اقترابها البعيدة وفى مناطق تجمعها واثناء فتحها واثناء هجومها ، وهو ما حققته المدفعية المصرية .

عن مدفعية الفرقة ١٦ مشاة :

بعد أن اتمت قوات النسق الاول للجيش الثانى والثالث تنفيذ المهمة المباشرة بنجاح وبدأت فى تعزيز رؤوس الشواطىء المحددة لها طبقا للخطة بدأت تتعرض لهجمات مضادة متعددة للدرعات العدو الاسرائيلى ركزها على اجناب رؤوس الكبارى محاولا تطويقها والوصول الى المعابر لتدميرها ومنع تدفق القوات المصرية الى الشرق وعزلها عن اقسامها الثانية فى الغرب . وكانت الفرقة ١٦ مشاة اكثر الفرق تعرضا للهجمات والضربات المضادة التى وجهها العدو بطواعت مدرعة الواحد تلو الآخر . ولكن قوات الفرقة من مشاة مدرعات ومدفعية وبفضل المعاونة الفعالة لمجموعات مدفعية الجيش الثانى واحتياطياته المضادة للدبابات تمكنت من

صد وتدمير كل هذه الهجمات والضربات المضادة ويمكن لكل من يريد رؤية آثار الخسائر الجسيمة التي يتكبدها العدو الاسرائيلي في مواجهة قطاع هذه الفرقة ان يذهب في زيارة الى راس كبرى هذه الفرقة ليجد عشرات بل مئات الدبابات المدمرة المحترقة والتي لم تنقل من محلاتها حتى الآن والكثير منها لم يبق الا اجزاء او اشلاء ممزقة لتشهد على بطولة الانسان المصرى دفاعا عن حقه وارضه واوطانه .

ولقد لعبت المدفعية في معركة الفرقة ١٦ مشاة - تماما كما هو الحال على كل المواجهة - دورا كبيرا في نجاح صد هذه الهجمات والضربات المضادة . ويكفى ان نقول ان ادارة نيران المدفعية كانت على مستوى عال من الكفاءة الامر الذى امكن معه حشد نيران عدد كبير من كتائب المدفعية وصل في بعض الحالات الى ١٧ كتيبة على هجمة مضادة واحدة للواء مدرع اسرائيلي كان من نتيجتها ان دمرت لهذا اللواء حوالى ٣٢ دبابة وارقد اللواء مدعورا دون ان ينفذ هجمته المضادة ، وتلقت الصواريخ المضادة للدبابات العدو الذى تابع تقدمه من الدبابات فدمرتها ، وحدث ان نجحت اربع دبابات من هذا اللواء فى الوصول الى تبة الطالية حيث دمرها رجال المشاة بالقواذف رجب . لقد ظهر فى صد هذا الهجوم التعاون الوثيق المتناز بين المدفعية والمشاة فكانت سيمفونية رائعة لم تشهد الحروب لها مثيلا .

يصف أحد الجنود الاسرائيليين فيما بعد ما فعلته به ويوحده المدفعية المصرية فيقول :

« لقد تعرضنا لستار من نيران المدفعية لا يمكن وصفه ، فلقد
انصبت من كل جانب الصواريخ ونيران الدبابات وقذائف المدفعية
الثقيلة . وقد تمكنا من شق طريق لنا ، ولكن المعركة استمرت
مدة ساعات اذ وقعنا مرة ثانية تحت ستار من نيران المدفعية وقد
اخترق كل شيء حولى ، وكان عدد من الرجال يصرخون وغيرهم
يتقززون من دباباتهم » . (كتاب كيبور) وفي مواقع كثيرة من كتاب
حرب كيبور وكتاب نظرة على حرب الشرق الاوسط يصف المؤلفون
بعض لمحات الهجمات المضادة الاسرائيلية فيقولون :

« ان المصريين قد نجحوا في كسر الهجوم الاسرائيلي المضاد .
ولقد ادركت القيادة الاسرائيلية ان الهجمات المضادة لا يمكن ان
تعمل بتدمير وحدات التعزيز » .

« للمرة الاولى اخذت الدبابات الاسرائيلية تحارب وهى
تسحب وللمرة الاولى كذلك تعطلت هذه الدبابات فى ارض العدو
وفى داخلها قتلى وجرحى دون ان يستطيع احد تخليصهم منها »
لقد قتل او اسر عدد كبير من اطقم الدبابات التى تم تدميرها »
من سجلات الحوادث :

بعض الأعمال القتالية خلال الفترة من ٦ أكتوبر حتى ٢٤
أكتوبر ١٩٧٣

١ - يوم ٦ أكتوبر

× التمهيد النيرانى

— بدأ التمهيد النيرانى الساعة ١٤.٥ على الاهداف المخططة بعد
تعديلها طبقا لنشاط العدو صباح اليوم . ولقد تأكد تدمير
البطارية المعادية رقم ٢١٢. وشوهدت حرائق وانفجارات
فى منطقة الهدف .

— اجرت مراكز الملاحظة انتقالاتها الى منطقة راس الكوبرى شرقا

القنفة باستخدام القوارب المطاط مع الموجات الأولى للعبور .

الساعة ١٦١٠ - تم تدمير بطارية معادية ملا الاحدائي (٠.٠.٠٠) .
رصدت بواسطة الصوت .

الساعة ١٦٢٠ - رصدت تجمعات دبابات في منطقة النقطة القوية في تل سلام وتم التعامل معها بكتيبتين من اللواء وتم تدمير ٤ دبابات .

من الساعة ٢٠٢٠ وحتى الساعة ٢٣٥٩ :

— اشترك اللواء بكامل وحداته في إيقاف هجوم مضاد لكتيبة دبابات على محور الطريق الأوسط جنوب كنب عيفان وتم إيقاف الهجوم ، واجمالى خسائر العدو ٢٦ دبابة .

— اشترك اللواء بعدد ٢ كتيبة في إيقاف هجوم مضاد بحوالى كتيبة دبابات للعدو على يمين ويسار الفرقة ١٦ مشاة من منطقة شمال الطالية ومنطقة شمال شرق قرية الجلاء وتم إيقاف الدبابات .

— تم اسكات ٢ بطارية معادية .

— اضاءت المجموعة أرض المعركة لمدة ١٠ دقائق لاكتشاف تحرك لواء مدرع معادى .

٢ - يوم ٧ أكتوبر :

— تم اسكات ٧ بطاريات معادية معظمها بعيد المدى .

— تم اسكات ٣ بطاريات معادية استعادت نشاطها .

— صد الهجمات المضادة لبقايا كتائب العدو المدرعة الساعة ١١٠٠ ، ١٤٢٥ ، ١٧٤٠ .

— الساعة ١٥٢٠ تعرضت مرائب نيران إحدى الكتائب لقصف جوى باستخدام النابالم ولم تحدث خسائر .

٣ - يوم ٨ أكتوبر :

- تم اسكات ١٣ بطارية معادية .
- صد الهجمات المضادة لدبابات العدو بواسطة لواء مدرع ضد رأس كوبرى الفرقة الثانية المشاة والفرقة ١٦ مشاة كالاتى :
- × الساعة ٨.٠٠ لواء مدرع معادى على الطريق الأوسط شرق أبو وقفه
- × الساعة ٨.١٠ دبابات ومشاة ميكانيكية شمال الطريق الأوسط غرب كيشيب عيفان .
- × الساعة ٩.٥٠ اسكات ٢ سرية دبابات فى منطقة الشجرة امام رأس كبرى الفرقة الثانية .
- تم عبور احدى كتائب اللواء الى رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة كما انتقلت سرية الصوت الى منطقة الطالية .

٤ - يوم ٩ أكتوبر :

- تم اسكات ٨ بطاريات معادية .
- صد الهجمات المضادة بدبابات العدو على رؤوس الكبارى وعددها ٧ هجمات مضادة امكن تكبيد العدو فيها خسائر جسيمة فى الدبابات والعربات المدرعة .

٥ - يوم ١٠ أكتوبر :

- اسكات ٦ بطاريات معادية حددت بواسطة الصوت اللاسلكى وبعضها تم اسكاته اكثر من مرة ولقد تأكد تدمير ثلاث بطاريات منها .
- صد خمسة هجمات مضادة لدبابات العدو ضد كل من رؤوس كبرى الفرقة ١٦ مشاة والفرقة الثانية المشاة .

٦ - يوم ١١ أكتوبر :

- تم اسكات ٤ بطاريات معادية للعدو وتأكد تدمير واحدة منها .
- صد خمس هجمات مضادة للعدو (الساعة ١٢.٠٠ ، ١٤٢٠ ، ١٤٣٠ ، ١٤٤٠ ، ١٧٢٥) ضد رؤوس البكاري تم فيها تدمير عدد من الدبابات .

٧ - يوم ١٢ أكتوبر :

- تم اسكان عدد ٧ بطاريات مدفعية للعدو جميعها بعيدة المدى .
- نفذت خطة ازعاج لواقع مدفعية العدو المحتملة .

٨ - يومى ١٣ أكتوبر ، ١٤ أكتوبر :

- بدأت مهمة التطوير شرقا بدفع مفارز مدرعة في اتجاه الطاسة .
- وقامت المجموعة (اى اللواء) بتأمين دفع هذه المفارز بتنفيذ ما يلي :
- تم تنفيذ جميع الخطوات المخطط لها ليلة ١٣/١٢ أكتوبر .
- في الساعة ٥٤٥ . يوم ١٤ أكتوبر بدأ تنفيذ قصفة النيران لتأمين الدفع .
- تم خلال القتال يوم ١٤ أكتوبر تسكات ١١ بطارية معادية .
- اشتركت المجموعة في تأمين اعمال المفارز المدرعة بضرب تجمعات وحشود نيران وعمل ستائر دخان ناجحة ضد قوات العدو في مواجهة الهجوم .
- اشتركت المجموعة في ستر ارتداد المفارز المدرعة الى راس الكوبرى .

معركة الدبابات الكبرى

ركزت اسرائيل جهودها الرئيسية في المرحلة الاولى من الحرب كاسبقية اولى ضد الجبهة الاسرائيلية للأسباب التالية :

(أ) أن استرداد السوريين لمرتفعات الجولان ينقل المعركة الى قلب اسرائيل ويهدد الكثير من المستعمرات الاسرائيلية بالدمار .
(ب) لا يوجد مانع مائى يمكن الاعتماد عليه كما هو الحال على الجبهة المصرية كما ان اسرائيل كانت تعول كثيرا على حصانة خط بارليف وظنت أن اقتحامه امر يستحيل حدوثه ، وأن القوات المصرية ستقف عاجزة أمام القناة وخط بارليف .

(ج) حتى بفرض نجاح القوات المسلحة المصرية فى اقتحام القناة فان ذلك - كما ظنت القيادة العليا الاسرائيلية - سيتطلب وقتا طويلا تكون القوات الاسرائيلية قد انتهت فيه من الجبهة السورية وتفرغت للجبهة المصرية .

(د) الاستفادة من كل عمق سيناء اذ أمام المصريين بعد القنابة وخط بارليف أن يستولوا على المضائق وهو امر يحتاج اعداد طويلا ، وعليه فقد تكون اسرائيل قد توقعت احتمال وجود وقفة تعبوية تقفها القوات المسلحة المصرية الى أن تستعد لاقتحام المضائق .

(هـ) يمكن للقوات المسلحة الاسرائيلية أن تقوم بقتال تعطيل قوى ضد القوات المصرية الى أن تنتهى من الجبهة الشمالية بالجولان ثم تنقل نقلها الى الجنوب لتنهى الحرب .

(و) أن جدار الدفاع الجوى المصرى لا يغطى سوى عمق بسيط نسبيا شرق القناة ، والاسرائيليون يعرفون ذلك ، وعليه فقد يكون فى تقدير موقفهم أن القوات المسلحة المصرية ستتوقف لبضعة أيام حتى تنقل قواعد الصواريخ شرق القناة لتعطى الوقاية للقوات اثناء تطوير الهجوم شرقا .

لقد جاء فى كتاب كيبور فى الفصل الحادى عشر تحت عنوان وثيقة بالغة السرية ما يلى على لسان موسى ديان :

« لدينا جبهتين : الجبهة المصرية والجبهة السورية اتنا نريد

تحييد الجبهة السورية ، فهذا أمر له وجهة نظري الأفضلية الأولى . فمن جهة لأنها ملاصقة لبلادنا تماما . لقد نجحنا في إيقاف الهجمات السورية فلو نجحت القوات السورية في أن تتمركز على جبال الجولان فإنه سيكون في ميسورها قصف سهل الحولة بأكملها داخل أراضينا . أما مع المصريين فإن المشكلة مختلفة ، أنها بطبيعة الحال مشكلة كبيرة ولكنها لن تعرض إسرائيل وشعبنا للهلاك في المدى القريب . »

وقد تكون هذه الأسباب أو غيرها هي التي دارت في رؤوس القادة الاسرائيليين والتي حدث بهم الى اتخاذ مثل هذا القرار . وليس معنى تركيز إسرائيل لجهودها ضد الجبهة السورية اهمال الجبهة المصرية وانما المقصود هو خلق توازن ضد القوات المصرية وخلق تفوق ضد القوات السورية وذلك من وجهة النظر الاسرائيلية . فالواقع ان حجم القوات الاسرائيلية التي واجهت القوات المسلحة المصرية منذ اللحظة الاولى يزيد كثيرا عن نصف القوات المسلحة الاسرائيلية . وكل ما قصده هنا هو التنبيه بخطورة وجود جبهتين على إسرائيل وان ذلك كان سببا في توزيع جهودها وكان عاملا من عوامل النصر في حرب أكتوبر . فناهيك لو كانت أكثر من جبهتين ؟

عندما قدرت القيادة المصرية الموقف واتضح لها نية القيادة الاسرائيلية وبغرض التخفيف عن الجبهة السورية قررت تطوير الهجوم شرقا بدفع مفارز من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على المداخل الغربية للمضايق وتدمير القوات المدرعة الاسرائيلية في معارك تصادية ناجحة والاستيلاء على الطريق العرضي الذي يقع على عمق ٣٠ كم شرق القناة . وبذلك يتحتم على العدو ان ينسحب شرقا الى خلف خط المضايق ويحاول ان ينظم دفاعاته بها ليمنع القوات المسلحة المصرية من اقتحامها ، وعند ذاك يبدأ تنظيم معركة المضايق وفقا للخطة الموضوعة .

وفي الحادى عشر من اكتوبر كان معدل الهجوم السورى قد بدأ يتخفّض نتيجة شدة المقاومة من جانب العدو ، وكان واضحا ان اتسب توقيت للقيام بهذه العملية على الجبهة المصرية فى يوم ١٣ او ١٤ اكتوبر . واتخذ القرار وبدأت عملية تطوير الهجوم شرقا فى الساعة ٦٣٠ . من صباح ١٤ اكتوبر ١٩٧٣ فى أربع اتجاهات رئيسية :

- بقوة لواء مدرع فى اتجاه بالوظة رمانة .
- وبقوة فرقة مدرعة فى اتجاه الطاسة (على المحور الاوسط)
- وبقوة لواء ميكانيكى فى اتجاه وادى الجدى .
- وبقوة لواء مدرع مدعم بكتيبة مشاة ميكانيكية فى اتجاه معن مثلا .

وببداية تقدم هذه القوات نشبت معركة الدبابات الكبرى والتي لم يشهد الشرق الاوسط لها مثيلا . ولم يأت هذا الهجوم من فترة هدوء قتالى لان القتال كان مستمرا وعنيفا منذ اليوم الاول . ولكن هذا الهجوم كان تطورا كبيرا للمجهود المصرى فى حرب اكتوبر . فلعمدى يومين كنت ترى ارتالا الدبابات والعربات المدرعة والمدفعية وهى تتدفق عبر المعابر لتتخذ اوضاعها للهجوم وفى الوقت نفسه كانت اسرائيل تحاول ان تسابق الزمن بجذب مدرعاتها من الجبهة السورية لمواجهة الموقف الذى يوشك على الانهيار على الجبهة المصرية واستعانت اسرائيل بالترسانة الامريكية التى سارعت الى تيجدتها فدفعت لها بكميات ضخمة من المدرعات وطائرات الفانتوم . وبدأت تظهر على الجبهة المصرية دبابات لم تقطع سوى ٢٨٠ كم منذ اخروجها من المصنع . وفى ظهر الثالث عشر من اكتوبر كانت المعلومات تفيد من عبور لواءات مدرعة اسرائيلية للمضايق لمقابلة الهجوم المصرى . لقد ابتلع العدو الطقم ١ وبدأ يسحب احتياطياته وقواته من امام الجبهة السورية . وكان ذلك دلالة على نجاح المخطط المصرى .

لم يعلن أى من الطرفين عن حجم قواته بدقة وإن كانت بعض المصادر الأجنبية تقول أن عدد الدبابات التى اشتركت فى هذه المعركة يفوق ما اشترك فى موقعة العالمين . ففى موقعة العالمين كان اجمالى عدد الدبابات للجانيين حوالى ١٦٠٠ دبابة ، أما فى موقعة الدبابات الكبرى فى حرب أكتوبر على الجبهة المصرية فلقد زاد العدد على ٢٠٠٠ دبابة .

وفى صباح ١٤ أكتوبر بدأ الهجوم المصرى الجديد بقصفه نيران قوية من أكثر من ٥٠٠ قطعة مدفعية لتأمين دفع هذه المفارز المدرعة . وتحت ستر نيران المدفعية المؤثرة تقدمت الدبابات المصرية . لقد بدأت معركة كبرى للدبابات .

ولما كانت الدبابات هى نتاج تطور الفرسان فإن حرب المدرعات يمكن تشبيهها بهجوم لواء الخيالة المشهور ممزوجا بصدمة معركة الاسطول القديمة أو بتعبير آخر أمواج من الدبابات تزحف عبر الصحراء فى هجوم كاسح رهيب . ولكن الحقيقة عادة ما تكون أقل من الخيال . ففى ظروف المعركة تتدحرج الدبابة فوق سطح الأرض ببطء نسبى وليس بكل سرعتها ، ونادرا ما تطلق نيرانها أثناء الحركة ، وإنما تفتح نيرانها من وقفات قصيرة . وعليه يمكن تشبيه قتال الدبابات بمباراة لحماية للشطرنج يحاول كل طرف فيها أن يناور ويحاور ويداور ليحصل على ميزة تمكنه من توجيه ضربات قوية مفاجئة لخصمه لا يمكنه الرد عليها .

وعلى رجل المدرعات أن يستغل الامكانيات الميكانيكية والقتالية لدبابته الى أقصى حد . ولذلك تبنى الدبابة بالشكل الذى يعطيها القوة والسرعة معا . ويكفى أن تتصور معنى دبابة قادرة على حمل وتحريك وزن كبير من الدروع (٣٠ - ٥٠ طن من الصلب) ولها قدرة عالية على المناورة وخفة الحركة . ان ذلك ليس بالأمر السهل البسيط . كما يجب أن يكون للدبابة مدفع قوى وأن تكون الدبابة قادرة على تحمل الصدمة الناتجة منه عند الضرب والتى تصل الى

ما يعادل وزنها تقريبا . هذا بالاضافة الى الكثير من الاشياء الأخرى الهامة مثل خزانات الوقود واجهزة التهوية ... الخ .

ولقد عبر احد العسكريين الغربيين عن الدبابة قائلا : « لا يمكن للدبابة ان تحمل من الدروع ما يمكنها من ان تكون آمنة دائما » .
 افعلقة المدفع المضاد للدبابات التى تطلق على مسافة معقولة يمكنها ان تخترق ضعف قطرها على الأقل . فاذا كان مدفع الدبابة م - ٦٠ الاسرائيلية عياره ١٠٥ مم فان في قدرته اذا ما اطلق على مسافة ١٥٠٠ متر ان يخترق درعا سمكه ٢١٠ مم . وبالمثل أى مدفع عيار ١٠٠ مم يطلق نيرانه على دبابة على مسافة ١٥٠٠ متر ففى مقدوره اختراق درع سمكه اكثر من ٢٠٠ مم . وعليه فأحسن وقاية للدبابة هو اختفاؤها واستخدامها لطبيعة الأرض . فثنية أرضية صغيرة يمكنها اخفاء جزء كبير من الدبابة وقد يكون ذلك سببا فى نجاحها فى تدمير دبابة معادية ونجاحاتها هى من التدمير . وعلى ذلك فمهارة قائد الدبابة وسائقها على درجة عالية من الأهمية ، أو بتعبير آخر ان التكتيكات الصفرى فى معارك الدبابات تعتبر حيوية للغاية . فقائد فصيلة أو سرية أو سرب دبابات الكفاء هو الذى يمكنه ان يستغل مهارة رجاله فى التكتيكات الصفرى ويستفيد من الأرض الميتة وطرق الإقتراب المستورة ليصل الى المكان المناسب للمهاجمة العدو دون كشف لتحركاته . فى هذه الحالة يمكنه ان يدمر للعدو اضعاف اضعاف عدد الدبابات التى يقودها . بل ان سرية واحدة يمكنها تدمير كتيبة دبابات .

هذا الى جانب ان المقدوفات الموجهة المضادة للدبابات - أحدث تطورا حدث للمدفعية المضادة للدبابات - تتميز بما يجعلها خطرا داهما على الدبابة فهى ذات مدى أكبر من مدى سلاح الدبابة (يصل الى ضعف مرمى مدفع الدبابة) ، ولها درجة دقة أعلى من الاصابة فهى قادرة على الحصول على اصابة مباشرة

من الطلقة الأولى ، كما أنها أكثر قدرة على أن تختفى من رؤية الدبابة وبذلك تتوفر لها الفرصة لتطلق الطلقة الأولى . وعليه ففي معارك الدبابات تلعب المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات دورا حيويا لأن تعاونها مع الدبابات يجعل لها الغلبة والتفوق . ولهذا تحاول معظم جيوش العالم أن تدخلها ضمن التركيب التنظيمي للقوات المدرعة .

لقد كانت حرب أكتوبر أول اختبار فعلى لهذا السلاح القاتل للدبابة ولهذا تنهافت الدول على مصر لتعرف خبرتها في استخدام هذا السلاح . وتركز التساؤلات حول :

كيف استخدم ؟ وإى أنواعه أكثر فعالية ؟ وكيف تعاون مع الدبابات ؟ وما هى معدلات الخسائر الناجمة عن استخدامه ؟ وكيف أمكن تدريب عمال التوجيه ؟ وكيف يمكن مقاومة هذا السلاح الجديد ؟ وما هو دور مدفعية الميدان فى ذلك ؟

وبدا تقدم القوات المدرعة المصرية على المحاور المختلفة بحرى تقدما رغم المقاومة العنيفة التى قابلته . وبعد أن تأكد الهدف من التطوير ، وهو تخفيف العبء عن الجبهة السورية ، وابتلع العدو الاسرائيلى الطعام وسحب الكثير فى الجبهة المصرية ، قررت القيادة المصرى داخل رعوس الكبارى مرة أخرى . وتم لها العودة الى داخل رؤوس الكبارى دون أن تتكب

وكان للمدفعية المصرية فضل كبير فى ستر سحب هذه القوات المدرعة بأن قامت بإسكات بطاريات مدفعية العدو ومنع مدركاته من الضغط على قواتنا لأن من أخطر اللحظات عودة قوات لتتضم الى قاعدتها اذ قد يستغل العدو ذلك فيضغط عليها ويوجه هجمات وضربات مضادة ناجحة .

لقد بدأت معركة الدبابات الكبرى اعتبارا من اليوم الثامن من

اكتوبر واستمرت الى ان صدر قرار وقف اطلاق النار الذى استغله العدو فى توسيع الثغرة .

معركة الثغرة

كثر الحديث عن الثغرة وشدت انتباه الجميع سواء لانها كانت الشيء الوحيد الشاذ فى عملية العبور المصرى العظيم . وكان كل مصرى يود لو لم تحدث هذه الثغرة اذ كانت فى نظره كنقطة حير صغرة سقطت سهوا على صفحة بيضاء ناصعة من الانتصار . واخذت الدعاية الاسرائيلية والاستعمارية تحاول - دون جدوى - ان تنفيخ فى هذه الثغرة لتكسب بها شيئا ، ولكن الحقائق دمغتها واكدت الانتصار المصرى العظيم . وسأحاول هنا ان القى ضوءا من الحقيقة على معركة الثغرة ليعرف كل مواطن عربى مدى ما حققته القوات المسلحة المصرية من انتصار عبر عنه توفيق الحكيم « بعبور الهزيمة » .

فى حديث صحفى لوشى ديان : « فى الواقع كانت هناك امور غير متوقعة » . فلم نستطع بناء الجسور على القناة . وكان اعتقادى انه اذا ما نجح المصريون فى بناء جسورهم ليلا فان فى وسع دباباتنا ان ندمرها . ولكنه اتضح ان معداتهم الجديدة ، وبصفة خاصة صواريخهم المضادة لدبابات التى بلغ مداها ثلاث كيلو مترات - كانت فعالة جدا وقد دمر لنا الكثير من المدرعات بهذا السلاح . ان محاولة الاقتراب من القناة وتدمير الجسور كانت امر بالغ الصعوبة وكلفتنا الكثير لقد سارت الامور على خلاف ما كنا نتوقع » .

ومن هذا الحديث يتضح ان موقف اسرائيل كان بالغ الحرج . وعندما قررت مصر دفع قواتها المدرعة لتطوير الهجوم شرقا لتخفيف العبء من سوريا بدا الاسرائيليون يفكرون فى عمل مغامرة قلبقريونية برموا فيها دائما خاصة وانهم علموا ان العالم سيتدخل لوقف اطلاق النار . ومن هنا كانت عملية الغزاة » .

ولقد كانت الأوضاع بالجهة المصرية كما يلي :

- ١ - تمكنت القوات المصرية من افتتاح قناة السويس وخط بارليف الحصين خلال ساعات قليلة وتقدمت شرقا الى عمق حتى ١٨ - ٢٠ كم .
- ٢ - دفعت القيادة المصرية بمغارذ مدرسة للتطوير شرقا للضغط على القوات الاسرائيلية واجبارها على سحب اكبر جزء من القوات الموجودة في مواجهة القوات السورية للتخفيف عن الجبهة السورية ، وبذلك قلت القوات والاحتياطيات الموجودة في غرب القناة .
- ٣ - كان الراى السائد في الاوساط العسكرية العالمية يقول بأنه يتحتم على اسرائيل ان تدخل في معارك بالدبابات لمنع القوات المصرية من الانطلاق تجاه المضائق الحاكمة في سيناء باعتبارها مفتاح الطريق من والى القناة وفلسطين .
- ٤ - بدأت طائرات الاستطلاع الامريكية تتجسس على الجبهة المصرية عليها تجد نقطة تصلح للوثوب او لعمل ما يحفظ لأمريكا ماء وجهها بعد ان تغلب السلاح السوفيتى في ايدى الرجال المصريين على السلاح الأمريكى في ايدى الاسرائيليين . ويبدو أنهم وجدوا في نقطة الاتصال بين الجيش الثانى والثالث المصريين ضالتهم خاصة بعد أن عبرت القوات المدرعة التى تمثل الانساق الثانية لهذين الجيشين شرقا ولا زالت مستبكة في قتال عنيف في معركة الدبابات الكبرى .
- ٥ - كان الجسر الجوى الأمريكى الجبار ينقل مئات الدبابات الحديثة من طراز م - ٦٠ الى العريش حيث يتم تطعيمها وانطلاقها الى الجبهة .
- ٦ - بدأت اسرائيل تستعرض خسائرها من القوات الجوية الـ

وصلت اليها طائرات فانتوم بطيارها كما امتدتها جنوب
افريقيا بعدد لا بأس به من طائرات الميراج .

ومن هنا كانت الضربة الاسرائيلية في هذا الاتجاه مغرية الى
اكبر حد للأسباب الآتية :

(ا) ان نجاح مثل هذه الضربة وعبور القوات الاسرائيلية غربا مع
ما فيه من مخاطر ومع اقتراب موعد وقف إطلاق النار قد
يظهر اسرائيل بمظهر من لم يفقد المعركة ، وان تكون في
وضع يمكنها من المساومة اذا ما أمكنها تثبيت أقدامها في
النفرة .

(ب) ان ذلك معنويا سوف يحدث أثارا كبيرة قد ترفع من
معنويات الشعب في اسرائيل وقد تمت في معنويات الشعب
العربي .

(ج) ان ذلك قد يتيح لها فرصة تدمير جزء من قواعد الصواريخ
المناخمة للقناة وبذلك تتوفر لقواتها الجوية بعض الحركة .

فكرة العملية الاسرائيلية :

من المعروف استراتيجيا ومعنويا ان اضعف نقط في أى دفاع
هى نقط الاتصال بين القوات . ولذلك يهتم القادة عادة بتأمينها
بالقوات وبالنيران وبالمناورة وبالاختياطات وما من شك ان القيادة
المصرية اهتمت اهتماما بالغا بنقطة الاتصال بين الجيش الثانى
والثالث وخططت لتأمينها ضد جميع الاحتمالات . هذا ويمكن
لاى رجل عسكرى عادى أن يدرك بسهولة ان البحيرات المرة
العظمى - والتي تمثل مانعا طبيعيا ضد أى عمليات عبور بقوات
كبيرة - تعتبر أيضا عنصر تأمين لجانب أى قوات تتقدم شمالا
بحداثها مرتكزة بجانبها الأيسر على هذه البحيرات . كما ان منطقة
الدفنزوار تتميز بما يلى :

- ١ - بها أشجار كثيرة تساعد على الاختفاء .
- ٢ - منطقة مزروعة فيها الهجمات المضادة .
- ٣ - خلفها منطقة صحراوية تصلح لعمل الدبابات بحرية وكفاءة .
- ٤ - تركز في البحيرات المرة العظمى وبذلك يتحقق لها تأمين من أحد أجنابها كما أن البحيرات يمكن استخدامها في أعمال الإبرار البحري والإمداد .

وعليه يبدو أن المستشارين الأمريكيين أشاروا على إسرائيل باختيار هذه المنطقة لعمل مغامرتهم التليفزيونية بعد أن تأكدت طائرات الاستطلاع الأمريكية من وجود احتمالات نجاح المغامرة جزئياً ، كما أن العالم بدأ يتحرك بسرعة لإيقاف القتال في الشرق الأوسط خوفاً من تطور الأمور إلى مواجهة بين العملاقين وهو أمر محظور على الصعيد الدولي .

ولكى تنجح المغامرة كان على القوات الإسرائيلية أن تفعل ما يلي :

- ١ - تشن هجمات مضادة بكل ما لديها من إمكانيات ضد الجانب الأيمن للجيش الثاني بمهمة زحزحة الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة شمالاً لبضع كيلو مترات لتأمين منطقة العبور المختارة في الدفرزوار .

- ٢ - توجيه هجمات مضادة أخرى في قطاعات أخرى لتثبيت القوات المصرية وجذب انتباهها بعيداً عن منطقة الثغرة .

- ٣ - القيام بعملية إبرار بحري في بور سعيد لجلب انتباه القيادة المصرية إلى بور سعيد بعيداً عن البحيرات وعليه يمكن تصوير فكرة عملية الغزاة فيما يلي :

بقوة حتى ٣ لواءات مدرعة ولواء مشاة ميكانيكي توجيه هجمة أو ضربة مضادة ذات شعبتين على الجانب الأيمن للجيش الثاني (ضد قوات الفرقة ١٦ مشاة) بهدف زحزحة الجند الأمامي إلى

ما خلف تقاطع الطرق شرق الدفرزوار ثم الاستيلاء على النقطتين القويتين بالدفرزوار يتم دفع قوة من المظليين أو المشاة تعبر بالقوارب عبر القناه والبحيرات المرة لتستولى على رأس كوبرى صغير فى منطقة الدفرزوار يتم تدعيمه فوراً ببعض الدبابات البرمائية وابرار جوى بالهليكوبترات ، ثم يتم دفع عناصر من المهندسين العسكريين لإنشاء معبر ثقيل فى منطقة الدفرزوار ليتمكن دفع لواء مدرع يتسلل بحذاء البحيرات ثم يعبر الى منطقة الدفرزوار بسرعة وينتشر على شكل مفارز من سرايا مدرعة مدعمة بالمشاة الميكانيكية تقوم بالهجوم على بعض قواعد الدفاع الجوى المصرية القريبة لتدميرها وخلق حربة عمل للقوات الجوية الاسرائيلية . وبمجرد صدور قرار وقف اطلاق النار وقبول مصر له تسال هذه القوات لتوسع رأس الكوبرى مع دفع قوات جديدة لتدعيمه .

كيف نفذ العدو الاسرائيلى خطته ؟ ان الوثائق الدقيقة لشل هذه العمليات لا تنشر عادة الا بعد مضى مدة تصل الى عشر سنوات ولكن البعض من المحررين العسكريين بما لديهم من وسائل كثيرة ما يتمكنون من الحصول على بعض المعلومات الصحيحة فينشرونها فى كتب بعد ان يضعوا لها ديباجة لالباسها ثوب التشويق والاثارة . ومن بين الكتب التى صدرت وتحدثت عن الثغرة كتاب .

والذى تحدث فيه ستة محررين من صانداى تايمز عن معركة الثغرة من وجهة النظر الاسرائيلية . ولم تخرج الفكرة التى نشروها مما حاولت ان استنتجه ودونته قبل ذلك بعد ان استقيته من أسلوب التفكير العسكرى الاسرائيلى .

وفيما يلى مقتطفات مما نشر فى هذا الكتاب عن الثغرة او ما أطلقوا عليه معركة الزرعة الصينية .

كانت فكرة شارون تلخص فى استخدام احد لوائاته فى

جلب انتباه المصريين بعيدا في الوقت الذي يقوم فيه لواء آخر بالسيطرة على الطريق المتجه جنوبا من الطاسة الى البحيرة المرة العظمى . هذا الطريق يتصل بطريق القتال الرئيسى على مسافة بضع آلاف من الياردات من الوصلات التى تؤدى الى نقطة العبور المختارة . وتعرف منطقة هذه الوصلات باسم المزرعة الصينية لانه قبل حرب الستة أيام بمدة كان الخبراء الصينيون يجرون بعض التجارب الزراعية فيها . واذا تمكن شارون من السيطرة على الطريق وهذه الوصلات سيكون في مقدوره دفع المهندسين العسكريين والمعابر المتحركة والمظليين لتأمين المعبر - ومعهم لواء مدرع جديد ليحبر ويقاوم على الضفة الأخرى . وبعد ان ينجح المهندسون في تعبير عدد من الدبابات على المعديات يقومون بإنشاء كوبرى على القناة . وكان التوقيت الذى حدد للعملية هو الفسق من يوم الاثنين . وكان المفروض ان تعبر أولى عناصر المظلات قناة السويس في قوارب من المطاط الساعة ١١ مساء . وهذا يعنى ان امام القوة المدرعة خمس ساعات لقطع فيها مسافة ٢٥ ميلا خلف خطوط العدو وتقاتل قتالا ليليا ثم تتصل بالمهندسين وتقودهم بالمظليين عبر المعبر . وكان جزء كبير من الطريق يمر بكثبان وعلى - ويندر ان تتمكن الدبابات المتحركة ليلا من التحرك بسرعة تزيد عن خمسة اميال في الساعة .

وفي الخامسة مساء قام لواء مدرع تمركز شمال طريق الطاسة البحيرات بتوجيه هجوم مضاد في اتجاه الغرب - في اتجاه الاسماعيلية وكان هجوما خداعيا - ولقد قوبل بمقاومة عنيفة من القوة الرئيسية للفرقة ٢١ المدرعة المصرية .

بعد ذلك بساعة تحرك اللواء المدرع الثانى جنوبا . وفي جنح الظلام انحرف غربا تجاه البحيرات . وبوصوله الى الطريق اتجه شمالا تؤمنه البحيرات من الجانب الايسر .

وتم تقسيم القوات الى ثلاثة اقسام : القسم الاول (بقوة
حوالى لواء مدرع) يندفع في اتجاه الشمال الشرقى ليعبد القوات
المصرية عن الطريق الاسفلت ، والقسم الثانى يندفع شمالا ليدفع
قوات اللواء ١٦ مشاة شمالا ، والقسم الثالث يندفع في اتجاه مكان
العبور المخطط .

وقوبلت الهجمات بمقاومة عنيفة من المصريين . وكان معنى
ذلك ان تقاطع الطريق غير مؤمن التامين الكافى . وحتى ذلك الوقت
اختلفت توقعات العملية بشكل خطير - وفى منتصف الليل امكن
الاتصال بالمظليين الذين استولوا على النقطتين القويتين بالدفزوار
شرق . وحوالى الساعة ١٠٠ يوم ١٦ اكتوبر تمكنت مجموعة من
٢٠٠ رجل من العبور الى الدفزوار غرب . ولم يجدوا احدا
هناك على الضفة الغربية وكانت المشكلة خلفهم على الضفة الشرقية
اذ كانت الوصلة التى طولها حوالى ٢٥ ميل تغطيها نيران المدفعية
المصرية فى عنف وشدة . وكانت قوة من المظاليين قد ابرت لتامين
تقاطع الطرق لتقدم المعدات الثقيلة ولكنها تعرضت لهجوم مضاد
من المشاة المصرية المزود بالصواريخ المضادة للدبابات والقواذف
الخفيفة المضادة للدبابات . وفى الوقت نفسه كانت تدور معركة
رئيسية بالدبابات على بعد بضعة آلاف من الياردات شمال وشمال
شرق التقاطع .

ولم تتحقق اهداف العملية : فحتى الفجر لم يكن الكوبرى قد
انشئ ، بل لم تتمكن القوات الاسرائيلية من تأمين وصلات الطرق
المؤدية الى المعبر . وتعرض الهجوم الذى شنه اللواء المدرع شمالا
لمقاومة شديدة ووقع تحت نيران كثيفة من المدفعية المصرية وبدلا
يظهر ان الامر سيستغرق يومى قتال آخرين . وفى ليلة ١٦ اكتوبر
شن المصريون هجوما مضادا ودارت معركة عنيفة فى الزرعة
الصينية ، وكاد هذا الهجوم المدعم بالقوات الجوية ان يقضى على
قوى العبور الاسرائيلية ، واصبح الامر قاب قوسين او أدنى ويتم

قطع رأس الجسر الاسرائيلي من باقي القوات . ولم نتخذ الموقف الا وصول قوات مدرعة اسرائيلية جديدة بقيادة برن ، وتمكن جزء منها من العبور وتأمين رأس الكوبرى فى الدفرزواد .

ومع اول ضوء بدأت المدفعية المصرية تقصف الوصلات ورأس الشاطئ الأمر الذى حول الرحلة الى جحيم لا يطاق . وعلى الشاطئ الشرقى كان اللواء المدرعان الاسرائيليان اللذان بدأ العملية يوم الاثنين لا زالا يقاتلان معركة غاية فى الشراسة .

وبكل المقاييس العسكرية المعروفة كانت محاولة اريك شارون انشاء رأس كوبرى مأساة ومخاطرة معينة . فمع انه بدأ هجومه بما يساوى فرقة مدرعة فلم يتمكن خلال معركة ١٦ ساعة الا من عبور ما لا يزيد من كتيبة مدعمة بعدد من الدبابات المحددة . ولم يكن هناك كوبرى قد انشئ، ونتيجة قصف المدفعية فشل المهندسون عدة مرات فى انشاء الكوبرى وتأخر انشاؤه اكثر من ١٢ ساعة . واذا نظرنا الى كمية النيران التى ألقتها المدفعية المصرية على المثلث الطاسة - البحيرات - الاسماعيلية فان الموقف لم يكن يعطى اى بادرة امل فى النجاح .

وكما قال الفريق الجسمى : « ورات القيادة العامة ان الموضوع لا يمكن تركه للقائد المطلق وانه يجب ان يعالج على مستوى القيادة العامة . ان الهجوم على دبابات العدو المتسللة بقوات احتياطينا فى الغرب لم يفلح . . الهجمات كانت ضعيفة . وفقرت القيادة العامة عدم العمل بقوات صغيرة . وصدر الأمر باستخدام لواء بالكامل لتدمير العدو وتم حشد نيران المدفعية ضد العدو فى منطقة التسلل ، وهاجم الطيران ابتداء من الصباح ولكن مقاومتنا لم تنجح لان دبابات العدو الثلاثين التى تسربت تفرقت فى المنطقة الصحراوية الجبلية فى عدة اتجاهات . . وكانت لها حماية طبيعية . . ولم يكن من السهل تدميرها فى هذه الظروف . . ولقد قاتلت القوات

المصرية المهاجمة قتالا باسلا .. واستشهد قائد كتيبة ، وقائد لواء وقائد فرقة في الهجوم الذي تقرر يوم ١٧ أكتوبر .

وعلى الرغم من نجاح العدو في تدمير موقعين للصواريخ فقط حتى مساء ٦ أكتوبر إلا أن الموقف لم يكن خطيرا لا يمكن السيطرة عليه . فلقد استمرت المدفعية المصرية طوال ليلة ١٦ - ١٧ أكتوبر تصب حممها على العدو المتسلل للدرجة لم تشهدا أى معارك في الشرق الأوسط حتى في الصراع البريطاني الألماني في شمال أفريقيا . ويصف كتاب كيبور الموقف يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر وما بعده في عدة أماكن فيقول :

« وعندما حل يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر كانت المعركة ما تزال مستمرة فلقد تعثرت القوة المدرعة الاسرائيلية التي بدأت منذ ٤٨ ساعة تهاجم الموقع ومنيت بخسائر فادحة ، وعندئذ تقرر اللجوء لوحادات المشاة والمظليين للقضاء على الأسلحة المضادة للدبابات » . (كيبور) .

« وبينما كانت مدرعات شارون تعمل على توسع رأس الجسر كانت فرقة المدرعات برئاسة الجنرال برن تواصل تقدمها نحو نقطة العبور . ولم يكن ذلك رأس جسر وفقا للعبارة التقليدية . وذلك لأن محاور الحركة لم تكن قد ذلت بعد بصورة كاملة .. كما كان المحور الشمالي في متناول الدبابات المصرية أما المحور الجنوبي فكان يتعرض لقصف مدفعي متصل من جانب المصريين » . (كيبور) . « وإذا كان الجزء الأكبر من فرقة برن لم يعبر القناة بسرعة فهذا يرجع الى أن المصريين شنوا هجوما مضادا كان يسحق رأس الجسر الذي أقامته وحدات المظلات على الجانب الآخر » . (كيبور) . « وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطئ الغربي تعرضنا لقصف مدفعي لم نشهد له مثيلا في حياتنا ، فلقد وجه المصريون نحو رأس الجسر قوة النيران التي كانت متاحة لهم في القطاع » . (كيبور) .

« وعندما وصلت الى الجسر أدركت أنها مذبحة ، فلقد شاهدت هشرات من رجالنا مبعثرين قتلى » . (كيبور)

من هذه العبارات التي وردت متناثرة في كتاب حرب عيد الغفران (كيبور) يتضح مدى ما تعرض له العدو الاسرائيلي من ضرب خلال انشائه للجسر . ولقد التقطت ١٠٠ محادثة بين القائد الاسرائيلي والقيادة العليا يطلب فيها الغاء العملية لجسامة الخسائر التي تكبدها ، وترد القيادة العليا ترجوه الثبات وتقول له ان مستقبل اسرائيل متوقف على نجاح هذه المغامرة .

ويتابع الفريق الجسمي حديثه عن الثغرة فيصف الهجوم المضاد الذي تم لتدمير قوات الثغرة والاحاطة بها قائلا :

« كانت خطة القيادة العامة تتلخص في حصار الثغرة وحصرها في أضيق مساحة من الأرض في الغرب وسرعة تدميرها ، وفي الوقت نفسه قفلها من الشرق حتى لا تتدفق قوات العدو . وتقرر ان يهاجم الجيش الثاني جنوبا والجيش الثالث شمالا لسد الثغرة من الشرق وقطع خطوطها وبذلك يقع العدو في المصيدة » .

ويتابع الفريق الجسمي حديثه قائلا : « تقدمت قوات الجيش الثاني جنوبا وتقدمت قوات الجيش الثالث شمالا وبلغت المسافة بينهما ٤ كيلومترات فقط ولكنهما لم يتمكنوا من الالتقاء . لقد استمات العدو لتأمين مرور قواته شمالا وجنوبا وكان القتال رهيبا استخدمت فيه كل الاسلحة . وهكذا استطاعت قواته يوم ١٧ أكتوبر ان تنفذ باعداد أكثر الى الغرب . ولكن القتال الرهيب استمر ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ أكتوبر تكبد خلالها العدو أكبر خسائره في الحرب كلها » .

(من حديث نشر في جريدة اخبار اليوم)

حاول العدو بعد نجاحه في التسلل غربا ان ينتشر شمالا وجنوبا وخاصة بعد ان تمكن من ايقاف هجمائنا المضادة ولكن الجيش الثاني

الميداني نجح في منعه من الاقتراب من الاسماعيلية واوقف تقدم العدو الاسرائيلي ، وعدل من اوضاع قواته بما يحقق تحديد انتشار العدو وايقاف تقدمه شمالا وغربا ونجح في ذلك تماما .

عند ذاك فكر العدو في الانتشار جنوبا وهنا دفع الجيش الثالث باحتياطياته لايقاف تقدم العدو وحدثت معارك رائعة فشل فيها العدو في تطوير هجومه . وفي ٢٢ أكتوبر اعلن وقف اطلاق النار ، واستغل العدو هذا الموقف فتسلل ببعض مفارزه المدرعة الصغيرة ووصل الى طريق القاهرة السويس وقطع طريق الامداد والتموين من قوات بدر (فرقتين من الجيش الثالث الميداني) .

وتمكنت القيادة المصرية من تعديل اوضاع قواتها ودفع احتياطياتها بالشكل الذي احاط بقوات العدو الاسرائيلي وبدأت تعد العدة لتدميرها ووضعت لذلك خطة اعلن عنها الفريق الجسمي باسم « الخطة شامل » .

بعد ذلك بدأت معركة جديدة استمرت حتى توقيع معاهدة الفصل بين القوات ، وكانت هذه المعركة استنزافا دمويا للعدو الاسرائيلي الذي اخذ يئن تحت وطأة الضربات النيرانية للمدفعية المصرية والدبابات .

وبدأت المحادثات عند الكيلو ١٠١ بهدف انقاذ الموقف من التدهور في الشرق الاوسط بوساطة من وزير الخارجية الأمريكي الدكتور كيسنجر . وخلال هذه المفاوضات لم يتوقف القتال ، وفي النهاية قبلت اسرائيل الانسحاب من الضفة الغربية وبقاء رؤوس الكبارى المصرية كما هي . وتم فصل القوات . وانتهت مرحلة من مراحل الصراع من اجل تحرير الارض المفتتة ومصر منتصرة ، واثبتت القوات المسلحة المصرية انها قادرة على تلقين العدو الاسرائيلي قوسا لن ينساه وانتهت أسطورة ان جيش الدفاع الاسرائيلي جيش لا يقهر .

خاتمة

دروس من حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣

بعد أن توقف القتال واتفقت الأطراف على فصل القوات بدأت المحافل العسكرية المختلفة في دراسة نتائج حرب أكتوبر ومدى تأثيرها على الأفكار الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية . لقد أحدثت هذه الحرب هزات عنيفة بين الدوائر الفكرية العسكرية . وبدأت المدارس العسكرية المختلفة تتقرب من مصر وسوريا للتعرف على الدروس المستفادة من هذه الحرب . وقام كبار الاستراتيجيين والعسكريين من أمثال الجنرال بوفر بزيارة الشرق الأوسط للتعرف على وجهات النظر المختلفة وتبادل الخبرات والآراء . وألقى الجنرال بوفر عدة محاضرات يشرح فيها وجهة نظره إزاء هذه الحرب . وفي يقيني أن خير ما أختتم به هذا الكتاب هو الحديث عن الدروس التي استخلصها المعلقون والمفكرون العسكريون وخاصة من المعسكر الغربي لفهم كيف يفكر العالم وبالتالي كيف يفكر عدونا الذي بدین بعقيدته العسكرية للمدرسة الغربية .

دروس عن المخابرات والاستطلاع :

تكاد تجمع كل المصادر على أن أجهزة المخابرات الاسرائيلية والأمريكية تمكنت من رصد كل الاستعدادات العسكرية المصرية والسورية لشن الحرب . ففي السنوات الثلاثين الأخيرة أحرزت وسائل الاستطلاع الجوي تقدماً مذهلاً جعل من المستحيل أن يتمكن جيش من إخفاء مثل هذه الاستعدادات الضخمة عن التصوير الجوي ووسائل الاستطلاع الإلكتروني والراداري والأقمار الصناعية التي

أصبحت تسبح في الفضاء الخارجى لا تمتد إليها أى وسائل دفاعية لتسقطها أو تمنعها من الاستطلاع . ويكفى لابين كم أصبحت عليه هذه الوسائل من دقة أن شركة من شركات انتاج كاميرات تعرضت لقضية رد شرف لأنها نشرت صورة التقطتها إحدى طائراتها أثناء رحلة تصوير جوى من ارتفاع ٣٠ كم فأتضح أنها لزوجـة ضابط أمريكى بإحدى القواعد الأمريكية بأسبانيا فى أحضان زميل له على سطح فيلا . واعتبر الضابط أن تلك الصورة تشهير به فطالب بمليون دولار رد شرف . وهذا يوضح مدى دقة التصوير الذى يمكنه تمييز تفاصيل انسان التقطت له صورة من هذا الارتفاع الشاهق .

ومع كل هذا التقدم المذهل يمكن للعرب تحقيق مبدأ هام من مبادئ الحرب وهو المفاجأة . ويرى المفكرون العسكريون الأجانب أن الأسباب التى أدت الى ذلك هى :

١ - أن حجم المعلومات التى تقوم ادارة المخابرات والاستطلاع بأى دولة كبيرة جدا ومتنوعة . ويرى بعض المعلقين أن المشكلة التى تواجه القوات المصرية أساسا هى معالجة هذا الحجم الضخم المتنوع من المعلومات والاستفادة منها وذلك فى الوقت المناسب .

٢ - أن التقدم العلمى الذى أحرزته وسائل المواصلات ومركزية اتخاذ القرار على المستوى العالى قللت الى حد كبير من القاعدة التى ستعلم بهذه المعلومات وبذلك أصبح من الممكن حدوث تأخير بالنسبة للمنفلدين قد يكون ذا أثر ضار على سير الحرب وخاصة فى مراحلها الأولى .

٣ - وعلى ذلك فرغم هذا التقدم المذهل فى وسائل المواصلات الحديثة ووسائل الاستطلاع إلا أن المفاجأة ممكنة الحدوث ولا يمكن لـاى طرف أن يتجنبها .

الهجوم والدفاع :

يرى المعلقون ان حرب اكتوبر قد اوضحت أو اضاءت الطريق الى انسب استراتيجية في وقتنا الحاضر وهي استراتيجية الهجوم الاستراتيجى الذى يرتبط بدفاع تكتيكى .

ان المقارنة بين هذه الحرب الأخيرة والحروب السابقة توضح المزايا التى يمكن تحقيقها بتوجيه هجوم استراتيجى مفاجئ أى توجيه الضربة قبل أن يتمكن العدو من جذب قواته لمواجهة الموقف بالاسلوب التقليدى القديم . وليست سرعة ومدى الأسلحة الحديثة هى التى تحقق المزايا التى يمكن اكتسابها من الضربة الابتدائية (الأولى) فحسب بل أنه لمن المؤكد أن المزايا التى يتم تحقيقها لا يمكن للطرف الآخر أن يلغىها أو يضع من آثارها . ففى الأيام الأولى من حرب اكتوبر تمكنت القوات المسلحة المصرية والسورية من الحصول على مزايا كثيرة نتيجة نجاح الضربة الأولى الاستراتيجية ولم تتمكن اسرائيل رغم الدعم الضخم الذى قدمته لها الولايات المتحدة الأمريكية من أن تمحو آثار هذه الضربة حتى بمغامرة الشفرة المفروقة .

ويقول بعض المعلقين العسكريين انه توجد حقيقة اثبتتها حرب اكتوبر مؤداها أنه يصعب الى حد كبير حرمان القائم بالهجوم الاول من ميزة استيلائه على أرض استولى عليها نتيجة الضربة الاستراتيجية المفاجئة الناجحة ، وان القيام بضربة مضادة للحصول على كسب فى مقابل الخسارة التى تحملها المدافع لعمل توازن ما لن تكون لها مثل ثمرة الضربة الأولى . ويبدو أن هذا هو ما كان يجول فى التفكير المصرى منذ البداية . وأنه لعدد من الايام ، ليس بقليل ، تمكن المصريون من اجبار القوات الاسرائيلية على توجيه هجمات تكتيكية مضادة فاشلة كلفتها خسائر جسيمة .

الدفاع الثابت والدفاع المتحرك :

يحاول بعض العسكريين الغربيين أن يصور الموقف لو أن

اسرائيل على جبهة القناة كانت تدافع بأسلوب آخر قد يكون بنظرية الدفاع الثابت اى بالاحتفاظ بقوات كبيرة (الجزء الاكبر من قوات النسق الاول) فى الدفاع بخط بارليف وتقليل حجم الاحتياطيات (او النسق الثانى) .

ويتساءلون عما تكون عليه نتيجة الحرب لو كان الامر كذلك ؟ ولكنهم نسوا شيئا هاما وهو ان مواجهة قناة السويس تزيد عن ١٥٠ كم وانه لا يمكن ان يدافع عنها بقوة فى كل مكان . واذا كانت الحرب قد اظهرت شيئا فى هذا المجال فلقد اثبتت فشل الخطوط الحصينة ، اذ تمكنت القوات المصرية خلال ٣٦ ساعة من اقتحام القناة والوصول الى عمق مناسب والتخندق للتمسك بالارض وصد الهجمات المضادة الاسرائيلية .

والدرس الذى يمكن الخروج به من ذلك هو انه كان لزاما ان يتم تجميع الاحتياطيات خلف الخط الحصين وبالقرب منه وليس على عمق كبير كما حدث (هكذا يقول الخبراء العسكريون الغربيون) وان كان تطبيق هذا الراى لم يكن فى مقدور ولا فى صالح اسرائيل اذا كان يتعين عليها ان تحتفظ بقوات كبيرة وفى درجة استعداد عالية وهو ما لا يتحملة الاقتصاد الاسرائيلى لفترة طويلة .

دور المدرعات :

ان تاريخ الدبابة يحدثنا عن قصة مثيرة ترمى الى اختراع مركبة قادرة على اختراق الخنادق المحصنة وهو ما كان يهدف اليه دور الفرسان المدرعة . وخلاص فترتين او فرصتين بدا ان هذه المحاولة تحققت خلال النجاحات الالمانية فى الفترة ما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤١ (وذلك على الرغم من القول بانه لو كان هناك دفاع قوى منظم لا حدثت هذه الانتصارات) وخلال حرب الستة ايام (كما يدعى بعض المعلقين الغربيين . ولكن بدأت العقيدة العسكرية الغربية تشك فى قيمة ومكانة الدبابات لهذا الدور منذ عام ١٩٤٣

ويبدو أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد بدأت تزيد من هذه الشكوك .
 أن جوهر حرب المدرعات هو الحركة وحرية المناورة . أن
 الدبابة تعتمد على عدم وجود سلاح قوى قادر على إيقافها . ففي
 الماضي أما أن الأسلحة المضادة للدبابات لم تنتج بالعدد الكافي ولم
 تكن ذاتية الحركة (كما هو الحال بالنسبة للمدفع المضاد للدبابات)
 أو أنها قاست من قصر الرمي (كما هو الحال بالنسبة للبيزوكا
 والبيات وغيرها من القواذف المضادة للدبابات) . ولما تطورت
 الصناعة إلى إنتاج صاروخ موجه مضاد للدبابات رخيص نسبياً
 يمكن لفرد واحد أو عدد محدود من الأفراد أن يستخدموه ويتميز
 بطول الرمي أصبحت الأسلحة المضادة للدبابات قادرة على مواجهة
 الدبابات بنجاح . هذا إلى جانب أن الأسلحة الجديدة أصبحت
 قادرة على تحييد خفة حركة الدبابة وذلك لأنها موجهة وبذلك يمكن
 السيطرة على مسارها في الجو (على خط المرور) . وكنيجة فكل
 المحاولات التي تمت لاستخدام الدبابة في دور الفرسان - الاختراق
 ثم التطوير - فشلت نتيجة المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات
 ونجاحها في حرب أكتوبر . ولذلك تحتم الاحتفاظ بالدبابات في
 العمق واستخدامها بحذر ، وأصبح دورها الرئيسي (من وجهة
 النظر الإسرائيلية على الأقل) هو القتال ضد المدرعات وكمدافع
 متجولة تطلق نيرانها على حشود من القوات من خارج مرمى
 المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات .

هذا ويرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب أكتوبر قد
 أكدت مدى تعرض القوات المدرعة للقوات الجوية أو بتعبير آخر
 « لا يمكن لأي رجل مدرعات مهما بلغت كفاءته أن يعمل دون فضاء
 جوي ناجح » وهذا الدرس لم تستوعبه إسرائيل من خبرة الحرب
 العالمية الثانية ولا من خبرة حرب الأيام الستة ، على الرغم من أن
 نجاح مدرعاتها في حرب الأيام الستة في الاختراق كان نتيجة
 حصولها على السيادة الجوية بعد خروج القوات الجوية المصرية من

المعركة . ولو قدر الضربة الجوية الاسرائيلية ان تفشل ونجح الطيران المصري في تجنب المأساة لما تمكنت المدرعات الاسرائيلية من العمل . ومن خبرة حرب الايام الستة ان المدرعات الاردنية لم تتمكن من التأثير في القتال لافتقار الجيش الاردني للغطاء الجوي . وفي حرب اكتوبر فشلت اسرائيل في الحصول على السيطرة الجوية ولذلك تعرضت مدرعاتها لخسائر فادحة (كما يدعى الخبراء الغربيون) .

ولاقاء بعض الضوء على المستقبل يقول هؤلاء الخبراء ان دور المدرعات الذي كان معروفا حتى عام ١٩٦٧ وهو الهجوم والاختراق والتطوير معرض للخطر . ومع ذلك ففي رأيي ان الدبابة ستظل مؤكدة لدورها اذا ما نجحت المدفعية في حمايتها من خطر القذوفات الوجيهة المضادة للدبابات وذلك باسكانها اسكنا مضمونا ومنعها من انتاج نيران مؤثرة على الدبابات القائمة بالهجوم . ومن المتوقع ايضا ان يحدث تطوير جديد للدبابات يهدف الى زيادة سرعتها وخفة حركتها ، بل ان البعض يصل في تصوره الى انه سيحل محل الدبابة مركبة قتال جديدة أكثر خفة حركة وأعلى سرعة تحرك واقدار على المناورة من الدبابة الحالية .

مستقبل القوات الجوية :

في هذا المجال توجد ثلاث ملاحظات :

(- فساعت آمال اسرائيل التي كانت قد علقته على كفاءة طياريتها في التغلب على وسائل الدفاع الجوي المصرية ، بل لقد ادى ذلك الى ضياع خبرة طياريتها فلقد نجحت الصواريخ سام بجميع أنواعها وخاصة سام ٦ وسام ٧ بفضل رجال الدفاع الجوي المصري في منع الطيران الاسرائيلي من تأدية مهامه بنجاح . وبالرغم من الآمال العريضة التي علقته اسرائيل على الصاروخ الامريكى شرايك (جو - أرض) ضد قواعد

الصواريخ سام ٢ وسام ٣ فلقد فشل هذا الصاروخ نتيجة خبرات اكتسبها رجال الدفاع المصرى لمواجهة هذا السلاح ، كما ان تأثيره ضد الصواريخ الخفيفة ابحركة سام ٦ وسام ٧ كان مشكوكا فيه . هذا الى جانب ان الشوشرة والاعمال الالكترونية المضادة أصبحت غير ناجحة لعوامل كثيرة منها امكانية توجيه الصواريخ المضادة للطائرات بصريا او بالاشعة تحت حمراء وكلها لا يمكن الشوشرة عليها .

ومن جهة اخرى يرى الخبراء العسكريون الغربيون ان الاسرائيليين لم ينجحوا في احباط أو منع الضربات الجوية المصرية والسورية . فلقد نجحت القوات الجوية المصرية والسورية في تنفيذ معظم مهامها القتالية .

ويمكن القول بان القنابل التليفزيونية وتلك التى توجه باشعة الليزر ستمكن الطائرات من تفادى تأثير الاسلحة الجديدة المضادة للطائرات الى حد كبير ، وستمكنها من مهاجمة الاهداف البرية من على ارتفاعات عالية . ولهذا يرى البعض أن دور القاذفة المقاتلة قد انتهى . فلقد أصبحت حريتها في العمل مهددة باخطار جسيمة . وفي المستقبل ستصبح القوات البرية قادرة على حماية نفسها من الضربات الجوية التى توجهها القاذفات المقاتلة لها . ويرد الخبراء العسكريون الغربيون على ادعاءات اسرائيل بتجاذب طيرانه (القاذفات المقاتلة) في تنفيذ مهامها بعد ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ بأن هذا القول أن فرضت صحته كان في منطقة الثغرة نتيجة تعرض عدد من قواعد الدفاع الجوى المصرى للتدمير أو التعطيل ولو كان لدى مصر عدد كبير من الصواريخ سام ٦ المجنزرة لما تمكنت اسرائيل حتى من عمل الثغرة .

٢ - يقول الخبراء العسكريون الغربيون أيضا بأن حرب أكتوبر قد دعمت الشك في أهمية الطائرات ذات السرعات العالية جدا .

ففي السنوات الأخيرة سمع العالم عن الطائرات السوفيتية ميج ٢٣ ، ميج ٢٥ والتي أدعت بعض المصادر بوجودها في مصر وسوريا للقيام بأعمال استطلاع فوق سيناء وإسرائيل . وقيل أن هذه الطائرات بقدرتها على الطيران على ارتفاع يصل الى ٨٠٠٠ قدم تصبح على هذا الارتفاع غير فعالة ضد الأهداف الأرضية . وإذا ما هبطت على ارتفاعات منخفضة قلت سرعتها بدرجة كبيرة . وهنا تظهر أهمية المناورة وتفوقها على الارتفاعات العالية بعد أن حلت الأقمار الصناعية مشكلة الاستطلاع . وبدأ يظهر تساؤل أو شك في أهمية سرعة الطائرة وعما إذا كان ذلك يخدم هدفا مفيدا . فمن المعروف أن الفانتوم ف ٤ هي أحسن قاذفة مقاتلة في العالم ، وإن هذا التفوق ظل يلزمها لمدة ١٨ عاما . وإن عيبها الوحيد في نظر الخبراء هو انخفاض سرعتها النسبي . وأخيرا يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب أكتوبر قد أثبتت أهمية طاقة أو قدرة النقل الجوي ، إذا ما تطلب الأمر تدخلا سريعا وفعالا من إحدى القوتين الأعظم هنا أو هناك خارج أراضيها .

٤ - ويرى الجنرال بوفر رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسية أن القوات الجوية إذا ما استخدمت وتوفرت لها الحماية الكافية فإنها تستطيع أن تحافظ على قوتها لدى الجانبين ، وهذا من شأنه أن يمنع أي من الجانبين من تحقيق تفوق جوي حقيقي .

إن الطريق للحصول على تفوق جوي طريق طويل شاق ويستغرق وقتا طويلا لأن كفاءة القاذفات في تدمير الطائرات على الأرض بالطائرات أصبحت أقل بكثير عما كان الأمر عليه في الماضي إذا لم تكن هذه القاذفات تتعرض لخطر كبير انشاء تنفيذها لمهامها .

مكانة المشاة :

يرى الخبراء العسكريون الغربيون أن حرب أكتوبر قد البتت أن الأسلحة التي كانت تتفوق في أرض المعركة وهي الدبابة والطائرة أصبحت قابلة للانحلال (معرضة) للأسلحة التي دعمت بها المشاة وهي أسلحة المدفعية مثل القذوفات الموجهة المضادة للدبابات وأسلحة الدفاع الجوي المحمولة مثل سام ٧ ورد آي ، وكلها أسلحة محمولة يعمل عليها أفراد قلائل . ويرون أن الخطأ الذي تسبب لإسرائيل في هذه النكبة هو أنها خلال الست سنوات الماضية أهملت تطوير سلاحين مقاتلين رئيسيين وهما المشاة والمدفعية . ونرى أن ظهور أسلحة المدفعية المتطورة التي تدعم بها الوحدات والوحدات الفرعية من المشاة والتي ستدخل في تنظيم المستويات المختلفة منها ستحدث تطوراً في التكتيك وستعيد إلى الخدمة الجندی الميكانيكى ليقف جنباً إلى جنب مع الدبابة أن لم يتفوق عليها .

التدمير ضد المناورة :

قال ونستون تشرشل أن الحروب تكسب بالمزايا أو بالمناورة . ويعتمد التساؤل بالنسبة لحرب ما إلى أى نوع تنتمى على عوامل كثيرة تكنولوجية واجتماعية ونفسية . فحرب الأيام الستة كانت بحرب حركة فالكثير من الوحدات المصرية لم تر العدو الاسرائيلى ولم تشتبك معه وإنما وجدت نفسها تنسحب بأوامر القيادة العليا دون علم بمجريات الأمور حولها . وبالنسبة لحرب أكتوبر ومع استبعادنا بالحركة السرحية الاسرائيلية وهى الثفرة يمكن القول بأنها تنتمى إلى النوع الثانى . فلا يوجد اختراق عميق أو أعمال تطويق واسعة ، وإنما شوهذ اقتحام لمانع مائى قوى وتدمير لخط حصين ولقوات تدافع عنه ، وتدمير لحشود من الدبابات فى معارك متلاحمة انتصر فيها القذوف الموجه المضاد للدبابات على الدبابة ٢ - ٦٠ الأمريكية . لقد تغلب التكتيك على الفن التعبوى

والاستراتيجية وتفوق الاستنزاف على الحركة والتدمير على المناورة ، لهذا يرى الخبراء العسكريون أن حرب أكتوبر قد قدمت للتطور في العلوم العسكرية أكثر بكثير مما قدمته حرب الستة أيام عام ١٩٦٧ .

القوات البرية :

يرى الجنرال بوفر أنه كي يكون الدفاع قويا يجب أن تتوفر له كثافة أكبر في الأسلحة المضادة للدبابات وعمق أكبر . وهذا أمر يصعب تحقيقه في حالات كثيرة . وأن تحقيق الثبات للدفاع يعوض التأخير في وصول الاحتياطيات .

كما يرى أن المهاجم أن يكون على علم ودراية بما هو مقدم عليه ، وأن يكون رد فعله سريعا وحاسما ، وهذا يتطلب مواصلات جيدة وسيطرة ممتازة .

وهو ينادى بلا مركزية السيطرة واعطاء المبادرة للقادة الأصغر حتى يمكنهم التصرف طبقا للموقف .

ويرى أن العمليات الليلية ستكون السمة السائدة في المستقبل ويجب لكي تعمل القوات البرية بنجاح أن يتوفر لها غطاء جيد سواء بالصواريخ أرض جو أو بالقوات الجوية .

وأنه إن الصعب أن نقدر النتائج الحقيقية التي يمكن للقوات البرية في حالة عدم توفر غطاء جوي مناسب لها . ولكن هذا لا يمنع من الإصرار على تنفيذ المهمة إذا ما تعثر الغطاء الجوي لأي سبب من الأسباب .

دروس على المستوى الاستراتيجي :

١ - نظرا لوجود قوتين أعظم ومع احتمال التهديد بحرب ذرية إذا ما اتسع نطاق العمليات جعل أي حرب تقوم في مناطق عديدة من العالم حربا محدودة سواء من حيث المدة أو الهدف مهما كانت الخسائر الناجمة عنها .

٢ - يرى الجنرال بوفر ان اى حرب محدودة هى ظاهرة تجمع بين السياسة والاقتصاد والدبلوماسية والعمل العسكرى . والدور الذى يقوم به العسكريون هو دور من ادوار الاوركسترا التى تعزف سيمفونية الحرب ، ولذلك لا يمكنهم ان يقوموا بعزف منفرد . وهذه سمة من سمات الحرب المحدودة فى الوقت الحاضر .

٣ - لقد اتخذ التدخل الأمريكى اسرائيل من هزيمة كاملة ساحقة فساعدوها بجسر جوى ضخيم كما هيئوا لهم الظروف لعمل جسر على اقنائة كان الهدف منه نفسيا وليس عسكريا لانهم - على حد تعبير بوفر - يعرفون ان قواتهم فى الشفرة ستكون عرضة للتدمير الكامل ، ولكنهم بنوا خطتهم على أساس ان وقف اطلاق النار سيحدث نتيجة ضغط عالمى قوى وسيؤدي ذلك الى تدعيم رأس الجسر الضعيف الذى اقاموه اعتمادا على الخداع وليس القتال . ان الجانب الاسرائيلى عندما قام بذلك اغفل اتوازن الدقيق الذى تنص عليه أسس الحرب المحدودة ، فلقد ارادوا ان يحفظوا ماء وجههم نتيجة ما حدث فحاولوا خلق انتصار كاذب ليظهروا امام العالم بمظهر من استرد كرامته وان يحدثوا على العرب تأثرا معنويا قد يؤتى ثمرته فى تفكيك الوحدة العربية التى احدثها الانتصار المصرى السورى عليهم .

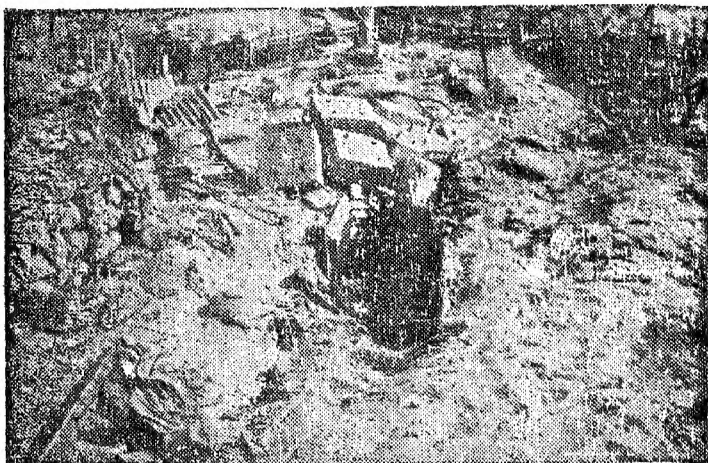
٤ - ان سباق التسليح الكمي والكيفي زادت حدته بعد فصل القوات وخاصة من الجانب الاسرائيلى لانهم احسوا بقوة العرب وتصميمهم وانهم أصبحوا معرضين لخطر حقيقى كانوا يعتقدون أنه بعيد الحدوث . وتطابعا الصحف اليومية عن زيارات المسؤولين الاسرائيليين لواشنطن يطلبون السلاح . وهذا يضع العرب امام اختبار جديد وخطير اذ يجب عليهم ان يستعدوا دائما لاطار جديدة وأن يبنوا قوتهم الذاتية التى تقيهم المفاجآت ، وفى مقدورهم ذلك .



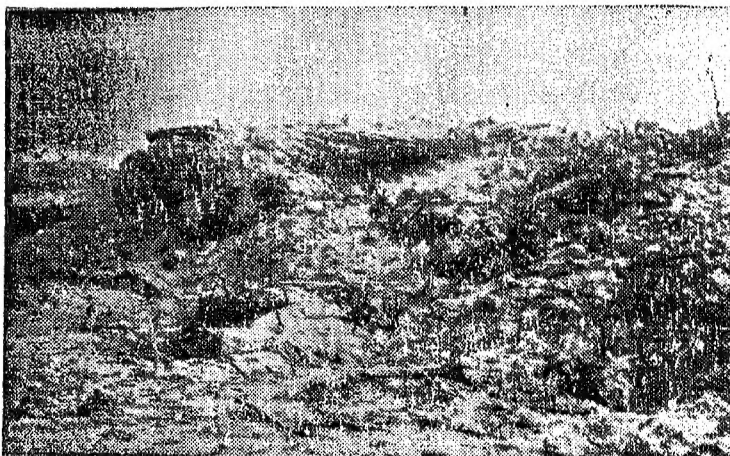
مربة مدرعة دمرها نيران المدفعية



دشمة نظاير ساقها من ضرب المدفعية



سرداب هدمته نيران المدفعية واخنتق من الداخل



آثار ضرب المدفعية في صحن نقطة قوية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٤/٤٨٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أدت المدفعية المصرية دورها في حرب العاشر من رمضان - وكما أدته في جميع المعارك التي خاضتها في ماضيها وحاضرها - على أكمل ما يكون الاداء ، وكما سوف تؤديه في مستقبلها .

ان المهام التي حققتها المدفعية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام ١٩٦٧ في مرحلة الصد والردع والاستنزاف واقتحام القناة والاستيلاء على رؤوس الكبارى كانت مهام خطيرة وبدأت المعركة بشمهيدها النيرانى وفرضت ارادتها كاملة على أرض القتال ومكنت مشاتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها . وكان للمدفعية اليد الطولى ولا تزال في ردع العدو في عمق أعماقه .

لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم ، واستشهد منهم من استشهد وهو يقاتل على مدفعه لم يتركه قط حتى ذاق الممات يحدهم في ذلك تقاليدهم وأصالتهم .
اننا نحيبهم رجالا آمنوا بوطنهم وثورتهم وبحقهم في حياة حرة كريمة .

أنور السادات

